من أحاديث الآداب

آداب المرض والتداوي

نعمة الصحة

لعل أجل نعمة ينعمها الله على عبده هي نعمة الصحة، حين يصبح العبد فيرى بفضل الله أن كل أعضائه وسُلامياته وأجهزة جسمه خالية من الأمراض. هنالك يخطر بباله خاطر يملأ نفسه بذكر الله وبشكر نعمته حين يذكر أن ملايين من البشر يعانون من الأمراض ويتمنون لو يُشفون ولو دفعوا للطبيب المداوي أعز ما يملكون.

إنَّ جسم الإنسان كثير الأجهزة معقدها، وأمراض الجسم كثيرة تتناسب مع كثرة أعضاء الجسم، فهنالك أمراض القدمين والركبتين وأمراض الجهاز التناسلي والبروستاتا وأمراض الظهر والحبل الشوكي والقلب والرئتين، وهكذا فمن أصبح وقد سلم من كل هذه فليسجد لله شكرًا. وليدفع زكاة صحته. وإلى هذا أشار رسول الله ﷺ حين قال في الحديث: «**كلُّ سلامي في ابن آدم عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس**».

ولما استكثر الصحابة تلك الصدقات أخبرهم رسول الله ﷺ أنه لا يقصد بالصدقة مال يدفع، فألفاظ ذكر الله صدقات، والبشاشة، وإعانة المسلم على أي شأن من شئون الحلال، وإماطة الأذى عن الطريق، والكلمة الطيبة، وكل صنيعة من صنائع المعروف كلها صدقات.

يا أخي القارئ الكريم: إذا أصبحت معافىً في بصرك فتذكر أن كثيرًا من البشر لا ينامون ليلةً هانئين لما يعانونه من آلام العين، وإذا أصبحت معافًى في سمعك فاعلم أن آلاف البشر حرمتهم النوم آلام آذانهم.

ولقد رأيت بعيني أحد إخواننا الأغنياء كان يعاني آلامًا من داخل أذنه (من الأذن الوسطى) فكان يغمى عليه وهو سائر مع إخوانه، فعلم من الأطباء أن الله تعالى أودع في الأذن الوسطى مركزًا للتوازن به يستطيع المرء أن يقف ويمشي ويمارس الرياضة، وأن هذا المركز إذا تعطل لم يستطع المرء أن يحفظ توازنه إذا وقف، ومن ثمَّ يقع مغمًى عليه. أقول: كان صديقنا الغني يود لو يشفى من نوبات الإغماء ولو دفع كل أمواله.

وإذن؛ فالصحة تاج إلهي يزين الإنسان أكثر من ماله وولده ورياشه وأثاثه، ومن هنا فإن المسلم يتعامل مع هذه النعمة تعامل الشاكر الذي يقدر نعمة الله حق قدرها، ويشكره عليها حق الشكر؛ إذ بالشكر تدوم النعم وتزكو.

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم

وإني موردٌ هنا طائفة من الآداب التي إذا التزمها المؤمن زكت نعمته وأفلحت مساعيه وكان مرضيًّا عند الله والناس:

أولاً: أول أدب يلتزمه أهل الصحة هو أن يعلم أنها فرصة ذهبية لمضاعفة الحسنات؛ لأن المريض لا يستطيع أن يتعبد لله كالصحيح، ولا أن يمشي في مساعي الخير كما يفعل الإنسان في حال صحته، إن الصيام والقيام يحتاجان إلى جَلَدٍ واحتمال، والمريض قليل الجَلَد والتحمل، فإذا غفل الإنسان عن صالح الأعمال وعجز عنها في حال صحته فهو في حال مرضه أشد عجزًا وأكثر غفلة، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»، ومعنى الحديث أن الصحة كنز عظيم القدر، لكن هذا الكنز يُفَرِّطُ فيه الناس ويضيعونه بخسارة فادحة؛ لأنهم لا ينتهزون فرصته المسعفة الجليلة فيبيعونه بيعة وكسٍ وغبن فاحش. إن طاقة الصحيح أضعاف طاقة المريض، ومن ثم فالعاقل يأخذ من صحته لسقمه، ومن شبابه لشيبته، ومن دنياه لآخرته.

ثانيًا: كلُّ إنسان عليه حقوق يؤديها وواجبات يحرص عليها، فلربه عليه حق، ولنفسه، ولبدنه، ولأرحامه، ولبيته وزوجته، وعليه أن ينتهز فرصة قوته ليؤدي هذه الحقوق قبل أن يمرض فلا يستطيع أن يؤدي حقًا ولا أن يقوم بواجب. ففي الحديث الشريف: «**ليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار**».

ثالثًا: وعلى المؤمن أن يتداوى إذا ألم به مرض؛ لأنه إن لم يتعهد جسمه بالصيانة المستمرة كثرت أمراضه وتشعبت، وفي الحديث الذي رواه الشيخان: «**ما أنزل الله ﷻ من داءٍ إلا وأنزل له دواءً علمه من علمه وجهله من جهله**». وروى أصحاب السنن أن الصحابة قالوا: يا رسول الله، أفنتداوى؟ قال: «**نعم، يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء**

غير داءٍ واحد هو الهرم».

وليعلم المؤمن أن الله ﷻ لم يجعل شفاء أمتنا في المحرمات فالخمر والميتة ولحم الخنزير لا يمكن أن يكون فيها شفاء، ففي (سنن البيهقي) قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم**».

رابعًا: وعلى المريض ألا يطلب الشفاء عند الجهلة والمشعوذين؛ لأن هؤلاء كثيرًا ما يؤذون المريض بأدوية لا يعرفون تركيبها. إن المريض العاقل لا يراجع إلا طبيبًا متمكنًا ممارسًا للأمراض والأدوية، وقد جعل الشرع الكريم التطبب جريمة، والتطبب أن يدعي الرجل أنه طبيب وما هو بطبيب، إن الطبيب المتمكن إذا أجرى جراحة فمات مريضه تحت يده فإنه لا يغرم ديته؛ لأنه اتخذ كل الاحتياطات فلم تفد؛ لأن أجل الله لا يؤخر، أما المشعوذ الذي يدعي الطب فإنه يغرم الدية إذا مات مريضه من أدويته؛ ففي سنن ابن ماجه يقول رسول الله ﷺ: «**من تطبب ولم يُعْلَمْ منه طب؛ فهو ضامن**».

خامسًا: وعلى المريض إذا أصابه مرض مُعدٍ ألا يخالط الناس وألا يغضب منهم إذا هم لم يزوروه، ففي الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال يذكر الطاعون (الذي يشبه الكوليرا): «**إذا سمعتم بأرض فلا تقدموا عليهم، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه**» وهذا هو العزل الصحي.

سادسًا: وعلى المريض أن يتعهد جسمه بالنظافة؛ لأن المرض ينتقل عن طريق الذباب والحشرات التي تحمل الجراثيم، وهذه لا تعيش إلا في البيئات الوسخة ولحكمة عظيمة جعل الشرع الشريف النظافة شرطًا من شروط صحة الصلاة، فإذا أراد الآباء والأمهات لأبنائهم السلامة من الأمراض فليعوِّدهم على النظافة بأنواعها، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله نظيف يحبُّ النظافة، طيب يحبُّ الطيب، كريم يحبُّ الكرم، جواد يحبُّ الجود، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود**».

من أحاديث الآداب

ما يتحلى به المؤمن في حال مرضه

الحمد لله الذي يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب، وأشهد أن لا إله إلا الله، الملك الكريم الحليم الوهاب، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الرحيم الرءوف.

أما بعد؛ إنَّ المؤمن قد يمرض فيصبر ويحتسب ويرجو رحمة الله وشفاءه، ويكون له أثناء مرضه أدب يتعلمه من كتاب الله وسنة رسوله. وهذه بعض الآداب التي يتحلى بها المؤمن في حال مرضه فيخفف الله بها عنه لأواءه، ويهون عليه ألمه وداءه، ويبعث فيه أمله ورجاءه.

أولاً: من آداب المؤمن في أثناء مرضه أن يلتمس لدائه دواءً، ويأخذ بأسباب الشفاء فيسأل أهل الذكر، ويستشير أهل الخبرة من الأطباء؛ ففي الحديث الذي رواه أصحاب السنن أن بعض الصحابة قالوا: يا رسول الله، ألا نتداوى؟ قال: «**نعم يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له شفاء غير داء واحد هو داء الهرم**». وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**ما أنزل الله ﷻ من داء إلا وأنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله**».

ثانيًا: وعلى المؤمن أن يختار لدائه طبيبًا لا أن يختار له متطببًا، أي: مدعيًا بالطب وهو جاهل أو مشعوذ، فالمتطبب والمشعوذ ومدعي الكرامات وهو كاذب كل هؤلاء إذا حصل للمريض على أيديهم أذى أو ضرر؛ فهم عندئذ غارمون ومعاقبون، أما الطبيب الحاذق المجتهد فإنه لا يغرم ولا يعاقب إذا قضى الله شيئًا على المريض إثر عمليته؛ لأن لكل أجل كتابًا لا يؤخر ولا يقدم قال رسول الله ﷺ فيما رواه ابن ماجه: «**من تطبب ولم يعلم منه طب فهو غارم**».

ثالثًا: على المريض ألا يتناول من الأدوية إلا ما جرب نفعه وخلا من الضرر، وإذا ادعى جاهل أنه يركب أدوية فلا يتعامل معه. وقد مدح رسول الله ﷺ بعض الأدوية المأخوذة من الأعشاب كالسنا المكي، وهو دواء من عشب مكة يلين المعدة وربما سموه العامة الحِلَّة؛ لأنه يحل إمساك المعدة، كما مدح العسل ومدح الحبة السوداء، وكل هذه أعشاب جربت وثبتت فائدتها بإذن الله، والأدوية الحديثة المستخلصة من الأعشاب والمواد الكيماوية النظيفة والتي

أجريت عليها دراسات وتجارب، كل هذه تؤخذ إذ أشار بها طبيب مجرب.

رابعًا: الطبيب المسلم مطالب بأمور لا يجوز له أن يتجاوزها، فلا يجوز له أن يتجاوز اختصاصه أو يتصدر لعملية فوق مستواه. وقد نصح رسول الله ﷺ طبيب وفد نجران واسمه الشمردل فقال له: «**يحل لك فصد العرق، ومجة الطعنة** -أي: أن تجس أسفلها لترى ما في قرارها من أشياء- **ولا تداو أحدًا حتى تعرف داءه وعليك بالسنا**». وهي نصائح رائعة؛ لأن السنا يريح المعدة، ثم إن الطبيب إذا داوى مريضًا قبل أن يعرف داءه ويشخصه فإنه قد يعطيه دواء ضارًا لمثل حالته وهو لا يدري.

خامسًا: إذا كان المرض معديًا فمن آداب المريض أن يعتزل حتى لا تنتقل العدوى، روى البخاري في «صحيحه» أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا وقع الطاعون بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها، وإذا وقع ولستم بها فلا تقدموا عليه**»، وفي صحيح البخاري أيضًا يقول رسول الله ﷺ: «**فر من المجذوم فرارك من الأسد**».

سادسًا: على الذي يعود مريضًا أن يخفف الزيارة، روى الديلمي أن رسول الله ﷺ قال: «**خير العيادة** (أي: زيارة المريض) **أخفها قيامًا**». والتعزية مرة. وإذا عرض عليك أهل المريض أن يعدوا لك طعامًا فإياك أن تسمح لهم؛ لأن لديهم ما يشغلهم من العناية بمريضهم يقول النبي ﷺ: «**إذا عاد أحدكم مريضًا فلا تأكل عنده شيئًا فإنه حظه من العيادة**» يعني: أن يفقد ثواب زيارة المريض ويصبح الأكل الذي أكله هو نصيبه من الأجر والمثوبة، وعلى العائد (أي: زائر المريض) أن يدخل السرور على قلب المريض، وأن يهوِّن من أمر المرض، وينفس له في مرضه يقول النبي ﷺ فيما رواه الترمذي: «**إذا دخلتم على المريض فنفسوا له في الأجل؛ فإن ذلك لا يرد شيئًا وهو يطيب نفسه**».

سابعًا: لا يجوز أن يتداوى المؤمن بنجس كالخمر ونحوها، ولا بمحرم كلحم الخنزير، ففي سنن البيهقي أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم**».

ثامنًا: وما أجمل أن يكثر المريض وأهله من الصدقة، والدعاء له؛ فإن الله تعالى يجيب الدعاء المخلص ويدفع السوء بصنائع المعروف، يقول عليه الصلاة والسلام: «**داووا مرضاكم بالصدقة**».

تاسعًا: لا بأس أن يرتقي المريض بالقرآن الكريم، فالرقية به واردة؛ فلقد رقى ابن مسعود مريضًا بأواخر سورة المؤمنين فأفاق، من قوله تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا**...﴾ إلى آخر السورة، وكان عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو داود إذا أتى المريض يدعو له يقول: «**أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا**»، وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ أوصى أحد الصحابة وقد اشتكى إليه وجعًا فقال: «**امسحه بيمينك سبع مرات وقل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد**». وأوصى أن يرقى المريض فيقول راقيه: «**أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يشفيه**».

عاشرًا: ما أجمل أن يتذكر المريض ذنوبه فيستغفر لذنوبه، وما أجمل أن تفيض عيناه إذا ذكرها، جاء في مسند الديلمي أن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد ليمرض فيرق قلبه فيذكر ذنوبه فيقطر من عينيه مثل الذباب من الدموع** (يعني: دمعًا قليلاً) **فيطهره الله من ذنوبه فإن بعثه بعثه مطهرًا، وإن قبضه قبضه مطهرًا**».

أحد عشر: بعض الناس إذا لم يأكل مريضه حزن وغاضبه خوفًا عليه أن يغلبه المرض، وبعضهم قد يحرم مريضه ولو من قطرة ماء، وفي هذا الأمر يكون خيرُ الأمور الوسط.

اثنا عشر: هنالك أدواء كداء الحصبة وبعض الأمراض الجلدية في الرأس والجسد تكون أمراضًا معدية فلتحذر الأمهات والآباء أن يأخذوا أبناءهم الصغار إذا أرادوا أن يعودوا أمثال أولئك الأطفال، ففي الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**».

ثلاثة عشر: أوصى رسول الله ﷺ ألا تترك الحمى لتستبد بالمريض، وعلى الطبيب والولي أن يبرد جسد المحموم بأي طريقة؛ لأنه يخشى إذا زادت عن حدها أن يفقد المريض وعيه فتزول مقاومته، ويتهيأ الجسد للضرر، روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء**».

أربعة عشر: نهى رسول الله ﷺ عن الدواء بالكي؛ لأن أكثر مَن يتصدرون له يكونون جهلة قساة القلوب، روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**الشفاء في ثلاث: في شرطة محجم**

أو شربة عسل أو كية بنار، وأنهى أمتي عن الكي».

خمسة عشر: على العبد المؤمن ألا يتبرم بالمرض فيسخط وينقم؛ لأنه قد يكون تنبيهًا من غفلات أو تكفيرًا للسيئات أو رفعًا للدرجات، فقد روى أبو حنيفة أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مرض العبد وهو على طائفة من الخير** (أي: ذو حسنات اعتاد عليها) **قال الله تبارك وتعالى لملائكته: اكتبوا لعبدي أجر ما كان يعمل وهو صحيح**».

من أحاديث الآداب

التـــــــداوي

الحمد لله الذي نزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين.

أما بعد؛ إني موردٌ هنا بعض آداب تتعلق بالتداوي سواء بالأدوية الحديثة أو بالكي أو باستعمال الرقي والتمائم، وقد أوحي إليَّ بهذا الموضوع أن جنديًّا استوقفني وقال في أدب: هل تسمح لي أن نسير على جانب الطريق وأسألك سؤالاً؟ قلت له: نعم. قال: ولكن السؤال طويل، فهل لديك وقت؟ قلت له: نعم. فأخذ يحكي أنه أصابته حالة نفسية من الاكتئاب وضيق الصدر والأرق. ثم تطورت حتى صار يرى زوجته كأنها وحش وإذا خلا بها في غرفة أحسَّ أن عدوًا يريد أن يغتاله، وأنه ذهب إلى بعض من يعالجون الجن فلم يكتب الله له شفاءً على أيديهم، وأخيرًا وصفت له عجوز صالحة قارئة للقرآن تحفظ من الآيات ما يطرد الجن، وأنها كتبت له آيات من القرآن وأذابتها في الماء حتى إذا انمحت شرب الماء ثم كتبتها مرة أخرى على ورقة فطوتها ووضعتها في حرز من الجلد وخاطت عليه، وقالت له: علقه تحت ثيابك واحرص عليه؛ لأنه من القرآن الكريم، وقالت له: إن إحدى كافرات الجن صنعت بك ما صنعت.

قال: ولما علقته شعرت أنه كابوسًا قد زال من فوق صدري، وأخذت أميل إلى الناس وآنست بزوجتي وسكنت إليها على مودة ورحمة، ولكن بعض المشايخ قالوا لي: إن تعليقك التميمة لا يجوز، وقد دعا رسول الله ﷺ على من علق تميمة ألا يتم الله له خيرًا، فنزعت

التميمة ولم تمض أيام حتى بدأت معي مشكلات كتلك التي مررت بها، وكنت قد حرقت التميمة بعد أن قرأتها، وأقسم أني ما وجدت بها إلا آيات من القرآن الكريم ودعوات صالحة بأن تحفظني ملائكة الله بأمر الله من بين يدي ومن خلفي ومن شر الإنس والجن وشر كل دابة يأخذ ربي بناصيتها، فرأيت أن أبحث في كتب الآداب والأحكام عن مسائل التداوي، وإلى الإخوة القراء هذه الخلاصة لآداب التداوي وأحكامه:

١- المؤمن إذا مرض شُرع له أن يتداوى ومن أهمل مرضه فلم يتداو فهو عندئذ مفرط في الهدي النبوي؛ لأن رسول الله ﷺ قال فيما رواه أصحاب السنن: «**يا عباد الله، تداووا فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً غير داء واحد هو الهرم**». وفي الصحيحين: «**ما أنزل الله ﷻ من داء إلا وأنزل له دواءً علمه من علمه وجهله من جهله**».

٢- على المؤمن أن يحكّم في التداوي عقله، فيتداوى بالطيب الوضيء ويتجنب القذر والنجس والمحرم، ففي الحديث الصحيح أن رجلاً اسمه الشمردل كان مع وفد نجران فقال: يا رسول الله، إني كنت كاهن قومي في الجاهلية، وإني كنت الطبيب، فما يحل لي؟ يعني ما الذي يسمح لي به الإسلام من مهنة الطب، فقال رسول الله ﷺ: «**فصد العرق ومجسة الطعنة وعليك بالسنا ولا تداو أحدًا حتى تعرف داءه**». قال: والذي بعثك بالحق أنت أعلم بالطب مني.

والحق أن ما أذن له به رسول الله ﷺ من سحب الدم عن طريق الفصد. وأن يجس بالمجسة عمق الطعنة ليتمكن من تطهيرها وأن يحرص على نظافة المعدة باستعمال السنا المكي وألا يشرع في المداواة إلا بعد معرفة المرض أقول كل هذه من أساسيات الطب.

٣- على المريض ألا يتطبب إلا عند طبيب، أما المشعوذون ممن يدعون العرافة ومن الكهنة والذين يدعون السحر واستخدام الجن فما يجوز للمسلم أن يأتيهم؛ لأنهم كذابون ويضيعون الوقت في غير طائل قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم: «**من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل صلاته أربعين يومًا**»، وفي سنن أبي داود: «**من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»، وذلك لأن هؤلاء يدعون معرفة الغيب وعلمه والغيب لله لا يطلع على علمه أحدًا إلا من ارتضى من رسول ومثل هؤلاء إذا تطببوا وعالجوا مريضًا

فأضرُّوه غرموا، يقول النبي ﷺ فيما رواه ابن ماجه: «**من تطبب ولم يُعلم منه طب؛ فهو ضامنٌ**».

٤- والتطبب من السحر ومن أفعال كفار الجن جائز، فقد جاء في الحديث الشريف والتفاسير وكتب السير أن رسول الله ﷺ تداوى بالقرآن الكريم من سحر سحره به أحد اليهود مستغلاً مشطًا من أمشاطه، ومشاطة من شعره، فأحس رسول الله ﷺ أنه تسلط عليه نسيان شديد حتى لقد كان يفعل الشيء وينسى بعد قليل أنه فعله فتداوى بالمعوذتين وشفاه الله. والحق أن أفضل طب للسحر وضرر الجن هو القرآن الكريم وخصوصًا الآيات التي تشتمل على كلمة التوحيد وآيات القدرة والسور والآيات المنصوص على فضلها كسورة الفاتحة إذ من أسمائها الشافية، وآية الكرسي إذ هي أفضل آية في كتاب الله بنص الحديث الشريف وقل هو الله أحد إذ هي ثلث القرآن والمعوذتين؛ لأن رسول الله ﷺ قرأهما فشفاه الله مما ألم به، والآيات التي فيها «لا إله إلا الله»، أو «لا إله إلا هو» مفيدة في هذا المجال؛ لقوله تعالى يذكر الكافرين: ﴿**وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا**﴾ [الإسراء:٤٦].

٥- هنالك أقوال لبعض أئمتنا من السلف تجيز تعليق تعويذة على أن تكون من القرآن الكريم خالية من أي طلسم أو لغة غير العربية، وأن يعتقد حاملها أن الشفاء لا يكون إلا من الله وبأمره، والقرآن وحي الله وكلامه وهو شفاء، قال الله تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾ وقد روي أن الإمام أحمد -رحمه الله- شكت إليه امرأة أنها تصيبها وحشة في بيتها فكتب لها رقعة بخطه: بسم الله وفاتحة الكتاب والمعوذتين وآية الكرسي. ثم كتب: «**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل اشف صاحب هذا الكتاب**».

وكان الأشياخ -رحمهم الله- يجيزون أن يكتب القرآن في إناء ثم يسقيه المريض ويغسل به وجهه، وقال صالح ابن الإمام أحمد: كان أبي إذا مرضت يأخذ قدحًا من ماء فيقرأ عليه ويقول: اشرب منه واغسل وجهك.

والمؤمن يشرب من ماء زمزم على نية الاستشفاء به، وكان أحمد - رحمه الله- ربما كتب شيئًا من القرآن في جام أبيض أو وعاء نظيف لامرأة عسرت ولادتها فتشرب منه وتنضح على

صدرها، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يكتب من القرآن على جبهة الراعف لينقطع الدم، هذا والرقية بالقرآن مستحبة.

٦- ومن آداب التداوي ألا يتداوى بالنجاسة أو بسماع الغناء كالزار ونحوه، ولا يتداوى بالخمر، وما أجمل أن يتداوى المريض بالصدقة، ويدعو بالمأثور في مرضه فيقول: «**أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد، أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يشفيني**»، وأهم ما في الأمر أن يعتقد المريض أن الطبيب والدواء والرُّقى ما هي إلا وسائل لا تنفع ولا تشفي إلا بإذن الله الذي هو الشافي والمعافي ومذهب البأس.

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۞ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۞ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ۞ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۞ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٧٨- ٨٢].

من أحاديث الآداب

علاقة العبد بربه

يستمدُّ المؤمن علاقته العظيمة بالله وإيمانه العميق بالرّب ﷻ من مصدرين عظيمين:

أولهما: الإكبار الذي لا حد له لله ﷻ، وثانيهما: العرفان بجميله ﷻ. أما الأول فينشأ من طول تأمل المؤمن في عظائم خلق الله وعجائب صنعه وجلائل آياته في السموات والأرض، فكلما اطلع على جديد من ملكوت الله زاد إجلاله لله ذي الملك والملكوت وذي العزة والجبروت.

وأما الثاني؛ فيستمده المؤمن من طول تفكره في آلاء الله ونعمة ظاهرة وباطنه كنعمة الخلق في أحسن تقويم، ثم ما سخره للإنسان من نعم لا تحصى يراها المتأمل ماثلة للعيان أينما

أدار بصره، ولا تزال هذه العلاقة الجليلة تنمو في قلب المؤمن حتى يكون الله ورسوله أحب إليه من ماله وولده والناس أجمعين. هنالك يتخذ ربه حبيبه الأعظم ويذوق حلاوة الإيمان التي أوضحها رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**».

وعند هذه المنزلة من مدارج السلوك يتحول المؤمن عبدًا ربانيًا مؤيدًا بروح الله، إن سأل الله أعطاه، وإن استعانة أعانه، وهنا يتمتع بولاية الله له حين يكون الله مولاه ينظمه في حزبه ويعلن الحرب على عدوه ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ**﴾ [محمد:١١] وفي هؤلاء الأولياء يقول ﷻ: ﴿**أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ الله لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۞ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآَخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ الله ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [يونس: ٦٢- ٦٤]. هنالك لا يترك حب الله في القلب فراغًا، ولا يتسع القلب بعدئذ لغيره ﷻ.

روى البخاري أن جبير بن مطعم ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة المغرب سورة «الطور» فلما بلغ قوله تعالى: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ ۞ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ**﴾ [الطور: ٣٥- ٣٧] كاد قلبي يطير.

إنَّ المؤمن يحب ربه أشد الحب يقول تعالى في سورة «البقرة»: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله**﴾ [البقرة: ١٦٥]، جاء في صحيح البخاري أن عمر ﷺ قال: يا رسول الله، لأنت أحب إليَّ من كل شيء ألا نفسي، فقال رسول الله ﷺ: «**لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك**». قال عمر: فإنه الآن لأنت أحب إليَّ من نفسي. فقال رسول الله ﷺ: «**والآن يا عمر**» (يعني الآن كمل إيمانك).

إنَّ سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم- عبدوا الله عبادة حب، لقد أجلوه خالقًا عظميًا ينطق بعظمته آياته ومخلوقاته، وأحبوه منعمًا متفضلاً تتجلى نعمه للعيون ظاهرة، وتتجلى للقلوب باطنة، وامتد حب الله إلى رسوله ﷺ لأن ﴿**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ**﴾

[النساء:٨٠]، ولأن رسول الله ﷺ هو الذي حمل إليهم نور الله، وعلّمهم شريعة الله، فكان أحب إليهم من أنفسهم. روى الترمذي أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ كان شديد الحب لرسول الله ﷺ لا يكاد يصبر على فراقه، فرآه رسول الله ﷺ يومًا شاحبًا يعرف الحزن في وجهه، ولما سأله قال: ذكرت أني في الآخرة قد لا أراك؛ لأنك تكون في عليين وأكون أنا في منزلة أدنى فطمأنه رسول الله ﷺ وقال له: «**المرء مع من أحب**». قيل: وفي هذا نزل قوله تعالى في سورة «النساء»: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء: ٦٩].

لقد أصبح رسول الله ﷺ عند سلفنا الصالح روحًا لأرواحهم، ونورًا لأبصارهم وبصائرهم، وحبيبًا موصولاً بسعادتهم، قال أنس ﷺ: لما كان اليوم الذي دخل فيه النبي ﷺ المدينة أضاء منها كلُّ شيء. فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كلُّ شيء وما نفضنا أيدينا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا.

قال حذيفة بن اليمان: رأيتنا ليلة الأحزاب والعدو قد أحاط بنا. أبو سفيان ومن معه من فوقنا وقريظة أسفل منا نخافهم على ذرارينا والريح كأنها صواعق ولم يكن عليَّ ما يغطي جسدي من العدو ولا من البرد إلا ثوب لامرأتي لا يجاوز ركبتي، فأتاني الرسول ﷺ وأنا جاثٍ على الأرض من البرد، فقال: «**من هذا؟**» قلت: حذيفة، وتقاصرت في موضعي؛ لأن ثوبي قصير، فقال: «**اذهب يا حذيفة إلى القوم فإنه كائن فيهم خير هذه الليلة فأتي بخبرهم**».

قال حذيفة: فنهضت وأنا أشد الناس بردًا، فدعا لي بخبر، فمضيت لشأني وكأني أمشي من الدفء في حمام (يعني من الحمامات الساخنة التي كانوا يرونها في فارس). ترى من أين جاءه ذلك الدفء؟! لا تفسير لهذا إلا أنها حرارة الإيمان ودفء الإيمان، ومضي حذيفة ودخل معه معسكر المشركين وعاد إلى رسول الله ﷺ بالبشرى أن الله –تعالى– هزم الأحزاب وردهم عن حمى المدنية المنورة.

ولقد نما الإيمان في قلوب سلفنا ونما معه حب الله ورسوله حتى أصبحوا ربانيين، شعارهم إزاء أي أمر إذا دعوا فيه إلى الله ورسوله أن يقولوا: سمعنا وأطعنا. ولقد دعاهم رسول الله ﷺ إلى غزوة العسرة، وكانت عسرة بحق، فقد خرجوا إلى تبوك في حر شديد،

وكان الرجلان والثلاثة على بعير واحد وأصابهم في الطريق عطش هائل حتى جعلوا ينحرون إبلهم لينفضوا كروشها ويعصروا ماءها فيشربوه، كانت عسرة في الماء والظهر والنفقة وشدة الحر، ومع ذلك لم يتخلف أحد عن رسول الله ﷺ من المؤمنين الأخيار إلا ما كان من أمر الثلاثة الذين خُلِّفوا فجاءهم من البلاء ما جاءهم فصبروا، ثم تاب الله عليهم ليتوبوا.

قرأنا أن أبا خيثمة ﷺ عاد إلى بيته بعد أن سار رسول الله ﷺ إلى تبوك وكان اليوم قائظًا شديد الحر فوجد زوجتيه وقد أعدتا له طعامًا شهيًا وماء عذبًا باردًا وبللتا له المسكن الواقع في بستان. وقطعتا له من بسر بستانه الخصب بعد أن بدأ يَسْوَدُّ ويرطب، نظر أبو خيثمة ذلك النعيم المغري فتذكر رسول الله ﷺ وصحبه وما يلقون في طريق تبوك من جوع وحر وظمأ فقال: رسول الله في الشمس والريح والحر وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء وهو في ماله مقيم، والله ما هذا بالنصف، والله لا أدخل عريش أي منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ ومضى يستبدل بالنعيم عسرة شديدة يطلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حالما نزل تبوك.

أذاقنا الله وإياكم حلاوة الإيمان، ورزقنا لذة النظر إلى وجهه الكريم.

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لله جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ۞ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ**﴾.

***

من أحاديث الآداب

الحث على تذكر نعم الله

من أهم آداب المؤمن أن يستغرق دوامًا في تذكر نعم الله ليكون هذا الذكر مقدمة للشكر الدائم للمنعم والعرفان المستمر بفضله. المؤمن على كافة أحواله شاكرًا لأنعم الله؛ لأنه يراها سابغة ظاهرة وباطنة، وهي لا تعد ولا تُحصى، يراها إذا أكل أو شرب أو مشى أو نام أو نظر فيما حوله؛ لأن ربنا ﷻ سخر لنا ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه، ومن ثم فالمؤمن يحس أنه رافل في نعم الله الجليلة وأفضاله الجزيلة، فإذا استشعر ذلك امتلأ قلبه بذكر الله وشكره وأسكن قلبه حب الله وإجلاله وتقديره، ثم تتحول هذه العواطف النبيلة إلى عبادة مخلصة وطاعة عظمية وولاءٍ منقطع النظير.

لقد كان السلف -رضوان الله عليهم- يحبون الله معطيًا ومانعًا، ويشكرونه معافيًا ومبتليًا، قال عمر ﷺ: ما ابتليت ببلاء إلا شكرت الله على أربع نعم:

أنها لم تكن في ديني، وأنها لم تجئ أعظم مما هي، وأن الله رزقني الصبر عليها، وأني أرجو ثواب الله عليها، قال رجل لأحد السلف: إن لصًّا دخل بيتي وأخذ متاعي. فقال له: اشكر الله على أن الذي دخل بيتك لص من البشر، ولو دخل قلبك شيطان فسرق إيمانك لكانت الخسارة أفدح، ثم احمد ربك على أن العقوبة العاجلة هي كفارة لعقوبة الآخرة، فقد قال رسول الله ﷺ: «**إن كل ما يصاب به المسلم يكون كفارة له حتى الشوكة يشاكها**».

وقد روي أن أعرابيًّا عزَّى ابن عباس ﷺ في وفاة أبيه العباس فقال:

أصبر نكن بك صابرين فإنما ... صبر الرعية عند صبر الرأس

خير من العباس صبرك بعده ... والله خير منك للعباس

فقال ابن عباس: ما عزاني أحد بمثل ما عزاني به هذا الرجل.

على أن المؤمن مأمور أن يسأل الله العافية في الدنيا والآخرة، وألا يسأله البلاء؛ لأن شكر الله على نعمائه أسهل من الصبر على بلائه، وفي الحديث الصحيح عن أنس أن رسول الله ﷺ

عاد رجلاً من الأنصار فوجده قد صار مثل الفرخ (أي: لضعفه وهزاله) فقال رسول الله ﷺ: «**هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله؟**» قال: نعم كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا. فقال رسول الله ﷺ: «**سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه فهلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**». وقال رجل: يا بني الله، أي الدعاء أفضل؟ فقال ﷺ: «**سل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة**، وكررها ثلاثًا والرسول ﷺ يقول له: **سل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة**» وفي الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال: «**تعوذوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وشماتة الأعداء**».

وعلى الجملة؛ فإن المؤمن يفضل أن يعافى فيشكر على أن يبتلى فيصبر، وإذا أردت يا أخي أن تُكتب في الشاكرين فاعلم أن طرق الشكر كثيرة، وكلها - إذا وفقك الله إليها- تحقق جزاء الشاكرين: إذا ذكرت نعم الله عليك فاستحييت من ربك، وخجلت من ذنبك فذلك شكر، وإذا تواضعت للفقراء وأنت في حال نعمتك فذلك شكر، وإذا شكرت الناس على حسن الصنائع فذلك شكر، ففي الحديث: «**لا يشكر الله مَن لا يشكر الناس**»، وإذا استعملت نعم الله فيما يرضيه وفيما هي له فذلك شكر، وإذا ظهر أثر نعم الله عليك فأطعمت أهلك وكسوتهم في غير سرف ولا مخيلة فذلك شكر، ورُبَّ غني شاكر خير عند الله من فقير صابر؛ لأن كثيرًا من أهل الدثور (أي: الأغنياء) لا تقل عبادتهم عن عبادة الفقراء، ثم يتفوقون على الفقراء بما يتصدقون به من أموالهم، فلا عجب إذا كان معظم العشرة المبشرين بالجنة من الأغنياء؛ لأن ذلك مكنهم أن تكون يدهم عليا، وأن ينصروا الإسلام بأموالهم ويجاهدوا بها كما كان يفعل عثمان رضي الله عنه وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

ولقد كانت حياة رسول الله ﷺ تتراوح بين مواقف من الصبر الجميل والشكر الجليل، كان معظم حياته في مكة صبرًا جميلاً حين يحمل من صنوف الأذى ما لا يطيقه عظماء الرجال. ونال في المدينة من نصر الله وتأييده ما لم ينله أعظم الأبطال، فكان بحقٍّ أعظم الصابرين وأعظم الشاكرين، وأراد الله لمحمد ألا يحرمه أجر الصابرين حتى في عهد الانتصارات بالمدينة فقد ابتلي هو والمؤمنون في أحد وزلزلوا زلزالاً شديدًا في الأحزاب، وابتلوا يوم حنين، وذلك ليظل إمام الشاكرين وقدوتهم، وإمام الصابرين وقدوتهم.

إنَّ أكبر هم المؤمن في نعمائه وضرائه ألا تكون النعماء فتنة وألا تكون الضراء غضبًا. إن رسول الله ﷺ حين ابتلي أشد البلاء في الطائف كان يرجو شيئًا هو ألا يكون ربه غاضبًا عليه، ويخشى أنه يسوق إليه ذلك العذاب؛ لأنه غير راضٍ عنه، فقد جلس وهو في أشد حالات الإخفاق والإهانة يناجي ربه ﷻ ويقول له: «**أنت رب المستضعفين وأنت ربي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل عليَّ غضبك أو ينزل بي سخطك إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك**».

ولما رأى الله صدق ذلك العبد المنيب والإنسان الكامل طمأنه بعد وقت قصير أنه ليس به عليه غضب، وإن له عليه كل الرضا، فقد أسرى به إلى البيت المقدس ثم عرج به إلى أعلى رحابه، وتجلى عليه بجلاله، وفرض عليه الصلاة وهي العبادة التي هي عماد الدين، وأراه من آياته وعظمة ملكوته ليثبت إيمانه وأراه أنهار الدنيا وأرض دولها إيذانًا منه أن دينه سيظهر على الدين كله ولو كره الكافرون.

وبالصبر والإيمان تحقق له ما وعده الله به من نصر مؤزر فصبر على أشد العذاب إلى أن دخل مكة فاتحًا يدك مجد الأصنام المزيف، دخلها وهو ساجد على راحلته خشوعًا وتذللاً لله يقيم دين الله على حطام الشرك وهو يردد قوله تعالى: ﴿**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾ [الإسراء: ٨١]، ألا ما أجمل سيرة محمد عبادةً وأخلاقًا ووحيًا وقرآنًا وصبرًا وشكرًا

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۞ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۞ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ۞ وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۞ وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا**﴾ [الإسراء: ٧٨-٨٢].

***

من أحاديث الآداب

شكر نعم الله تعالى

من أعظم آداب المسلم أن يجعل نعم الله ﷻ ماثلة بين عينيه، لا يزال يذكرها في كل حين فيعظم فضل الله في عينيه، وترتسم آلاؤه الله في قلبه، وبهذا يظل على كافة أحواله عبدًا شكورًا، قيل لرسول الله ﷺ: تقوم العبادة حتى تتورم قدماك وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فقال ﷺ: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**».

وكان الحسن -رحمه الله- يقول: اللهم ربنا لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وعلمتنا وأنقذتنا وفرَّجت عنا، لك الحمد بالإسلام والقرآن، ولك الحمد بالمال والأهل والمعافاة، بسطت رزقنا وأظهرت ديننا وجمعت فرقتنا وأعطيتنا من كل ما سألناك، لك الحمد على قديم نعمك وحديثها وعلى سرها وعلانيتها وعلى خاصها وعامها، لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت.

إنَّ ذكر النعم يوصل إلى شكرها، وشكر النعم مقدمة لزيادتها، إذا أكلت فاذكر كيف رزقك الله طعامك من دون حول لك ولا قوة، ثم كيف أعمل الله في طعامك آلات جسمك فاحتفظت كل بخيره وتخلصت من فضلاته، وإذا شربت فانظر كيف تناول جسمك ذلك العذب الزلال فشربته كما يشرب الورد في كئوسه زلال الندى، حتى إذا بقيت الفضلات الضارة خلصك منها، وأنت في غاية المتعة بخروجها كما كنت في غاية السرور بدخولها.

إنَّ لذة اللذات في العمر أن يظل العبد بين اثنتين: نعمة يحمد الله عليها، وذنب يستغفر الله منه، فتظل نظرته إلى الربِّ ﷻ بين منعم متفضل، وبين غفور رحيم.

لقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يكبرون في قلوبهم نعم الله ليكون شكرهم لها موافيًا لمزيد نعمه؛ ذهب عثمان ﷺ ليقبض على قوم عاكفين على ذنب، فلما وصل إلى مكانهم وجدهم قد تفرَّقوا من اجتماع معصيتهم قبل أن يبلغهم، فأعتق رقبة شكرًا لله؛ لأنه لم يكتب على يديه فضيحة مسلم.

إذا أردت أن تكون عبدًا شكورًا، فاعلم أن لجوارحك أنواعًا من الشكر تناسبها، فشكر عينيك غضهما عن العورات، ثم إذا رأيت بهما خيرًا أعلنته، وإذا رأيت شرًّا سترته، أما شكر الأذنين فهو أن تفتحهما لسماع الخير وتعرض بهما عن اللغو والشر، وأما شكر اليدين فذلك بأن تستعملها لإحقاق حق أو أبطال باطل.

وكان بعض السلف يقول: «ما خلوت إلى نفسي إلا تأملت في جسمي، وما أودع الله فيه من نعم السمع والبصر والعقل والحياة، فأشعر أن لو ظللت ساجدًا له ما وفيته نعمة واحدة منها».

وكان رسول الله ﷺ إذا جاءه خبر يسره أو بُشِّر بخير خرَّ ساجدًا لله على إنعامه، قال عبد الرحمن بن عوف ﷺ: خرج علينا رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة فخر ساجدًا فأطال السجود حتى ظننت أن الله قد قبضه إليه، ثم رفع فقال: «**إِنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام أَتَانِي فَبَشَّرَنِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ. فَسَجَدْتُ لله ﷻ شُكْرًا**».

وفي (سنن أبي داود) أن رسول الله ﷺ كان متوجهًا من مكة إلى المدينة فنزل منزلاً فرفع يديه إلى السماء فدعا الله ساعة، ثم خر ساجدًا فمكث طويلاً ثم رفع يديه ساعة ثم خر ساجدًا يفعل ذلك ثلاث مرات، وقال: «**إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي وَشَفَعْتُ لأُمَّتِي فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا شُكْرًا لِرَبِّي، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي فَسَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي شُكْرًا، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي فَسَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي فَأَعْطَانِي الثُّلُثَ الآخَرَ، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي**».

وجاء في السيرة أن رسول الله ﷺ لما جاءه مَن بشَّره بمقتل أبي جهل استحلفه رسول الله ﷺ ثلاثة أيمان بالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيته قتيلاً، فحلف له فخر ساجدًا، وسجد أبو بكر ﷺ سجود الشكر حين بلغه نبأ قتل مسيلمة الكذاب، وسجد كعب بن مالك ﷺ وهو من الذين خُلِّفوا، فأمر رسول الله ﷺ بهجرهم، سجد ﷺ لما بُشِّر بأن الله تاب عليه.

وعلى المؤمن إذا أصابه شيء أن يذكر أهل المصائب الكبيرة ليهون في عينه ابتلاء الله تعالى، وعلى العبد أن يذكر دوامًا أعظم نعم الله عليه ألا وهي نعمة الإسلام، فإنه إن ذكرها

شكرها فزاده الله إيمانًا وأتم نعمة الإيمان عليه والمنعم المتفضل ﷻ إذا أنعم أتم النعمة.

هذا، وعلى المؤمن ألا يستكثر عبادته، أو أن يمن بها، قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر:٦]. قال وهب بن منبه ﷺ: إن عابدًا عبد الله خمسين عامًا فأوحى الله إليه: إني قد غفرت لك. قال: أي رب تغفر لي ولم أذنب، فإذن الله لعرق في رقبته أن يضرب فلم ينم ولم يصل، ثم أمر العرق أن يسكن فشعر العابد بالسعادة، وقام ليصلي، فعلم أن نعمة سكون العروق وحدها لا تعدلها عبادة خمسين سنة. وروى ابن أبي الدنيا أن داود عليه السلام قال: يا رب، أخبرني ما أدل نعمك عليَّ، فأوحى إليه: يا داود، تنفس، فتنفس، فقال له الله ﷻ: هذا أدنى نعمي عليك، يعني به التنفس وملء الصدر من الهواء الجميل.

وعلى المؤمن أن يعلم أن جنة الله لا يدخلها أحد بعمله؛ لأن كل عمل الإنسان قد لا يساوي شربة من رحيق الجنة أو نظرة إلى زوجة من الخيرات الحسان، وأن الله إنما يدخل العباد جنته بعفوه العظيم ورحمته الواسعة، وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**لن ينجي أحدًا منكم عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل، فإن أعمال العبد لا توافي نعمة من نعم الله عليه**».

وقد كان السلف - رضوان الله عليهم- إذا أصيب أحدهم بمصيبة سارع يشكر الله ﷻ على أربعة أمور:

أولها: أن غيرها أكبر منها، والله لم يبتله بما هو أعظم.

وثانيها: أنها ليست في دينه.

وثالثها: أن الله رزقه معها الصبر.

ورابعها: أنه ﷻ كتب له ثواب المؤمن حين يبتلي فيحمد الله.

أسأل الله ﷻ أن يرزقنا جزاء الشاكرين، وأن يكتب لنا ولكم عاقبة المتقين.

***

من أحاديث الآداب

من آداب الكتابة

الكتابة نعمة من نعم الله الجليلة، وهي موهبة من مواهبه الجزيلة، وقد قرن الله أسماء ملائكته الكاتبين بصفة الكرام، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۞ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۞ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠- ١٢]، وكان عليه الصلاة والسلام أحرص الناس على اصطفاء الكاتبين يختارهم من الأمناء ليؤدُّوا أمانة الكتابة على وجهها الأتم.

وكان عليه والصلاة والسلام لا تكاد تنزل عليه الآية أو الآيات من كتاب الله حتى يبحث عن كاتب ويلتمسه في كل مكان، فإذا طفر به كلفه أن يكتب ما نزل من القرآن؛ لأن الكتابة أحفظ للعلم من الذاكرة، وفي المثل الحكيم: قصاصة صغيرة أقوى من ذاكرة كبيرة، ولأن الكتابة نعمة وشرف؛ فإن للمؤمن إزاءها آدابًا يلتزمها يبتغي بذلك وجه الله واستدامة النعمة وصنائع المعروف والخير.

فمن آداب الكاتب: أن يزكي نعمة الكتابة بشكرها، واستعمالها في الخير، ومساعدة غير الكاتبين بأن يكتب لهم وتقضى من كتابته احتياجهم حتى لقد كان عمر ﷺ ربما طوَّف على بعض بيوت المحاربين الغائبين ومعه دواة وقلم فسأل أهل البيوت: هل تريدون أن تكتبوا لفلان فإن البريد ذاهب نحوه، فإن أظهروا رغبة استخرج القلم والدواة ثم أملوا عليه وهو يكتب، والكاتب -والله أعلم- ملزم أن يكتب للأمي إذا قصده في كتابة خطاب أو صك أو نحوها، يقول ربنا ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ﴾.

ثم إن على الكاتب أن يربأ بنعمة الكتابة عما يفسدها من كتابة الباطل والبذاءة والتضليل كما يفعل الكُتَّاب في هذه الأيام ممن أنعم الله عليهم بنعمة الأسلوب الجميل والكتابة الفنية فجردوا أقلامهم للتضليل وأجروها لعمالة الكفر ومهاجمة الحق ونصرة الباطل.

وإن المؤمن ليتحسر في هذه الأيام حين يرى كثيرًا من حملة الأقلام من الكُتَّاب

والصحفيين يسخرون أقلامهم لإفساد العقيدة وقلب المفاهيم ومهاجمة المؤمنين ويتبعون بكتابتهم كل ناعق من الكفار وكل مهاجر من الفجار وكل مسموم دخيل من الأفكار.

لقد ابتليت أمتنا الإسلامية الوضيئة بكُتّاب احترفوا الخداع وتاجروا بسعلة الباطل، فخربوا على أمتنا مُثلها، وهاجموا تراثها، وأغروها بمبادئ الهدم وشعارات الكفر حتى أغرقوها في الأباطيل وأنسوها سواء السبيل، فتداعت عليها الأمم، وطمعت فيها شراذم اللمم حتى عاث في أقداسها الأشرار، وتنكبت شريعة الأبرار، ومن المصائب أن بعض أهل الكتابة من الطلاب يكتب على جدران الحمامات عبارات نابية فيجر على نفسه لعنة الله والناس، ومن أشد ما سمعته أن بعض بنات المدارس يقعن في الأمر حين تنبذ الحياء وتكتب ما يغضب الله.

ولا يفوتني هنا أن أنبه أهل الكتابة أن الله يحصي على كل كاتب ما يخطه بيمينه، وأن بعض الكتابة ستكون على أصحابها حسرة، إن بعض طلاب المدارس قد غفل نعمة الكتابة فكفرها وجلب لنفسه ولوالديه اللعنات حين أغراه الشيطان فاتخذ فحمة أو دهانًا وطفق يدنس جدران الناس، ويشوه منظر العمائر، ويكتب ما يغضب الله ورسوله، وما تنفر منه الأذواق السليمة والطبائع المستقيمة، تارة على أبواب المتوضآت، وطورًا على أسوار المدارس مشوهًا مناهل العلم بيد ملوثة دنسة كفرت فضل ربها، وسفهت كرامة نفسها.

ما أجمل أن يحمل المؤمن قلمه على نية أن يكتب لمن أعوزته الكتابة، فيساعده على قضاء حوائجه من حِسْبة أو طلب أو استمارة أو كتاب، وإذ ذاك يبارك الله علمه ويزكي نفسه ويحفظ عليه ما أنعم به عليه من الثقافة الشريفة، جاء في الحديث الشريف أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويكثر التجار، ويظهر القلم**».

وإني أخشي أن ظهور القلم معناه انتشار الكتابة الفاسدة المفسدة والأقلام المأجورة الخائنة والصحافة المضللة الداعية إلى شعارات الكفر ومبادئه، وحين رأى سيدنا يوسف عليه السلام قدرته على الكتابة والحساب اللذين كان قد تعلمها في بيت العزيز طلب من الملك ذلك المركز الاقتصادي الشاق الدقيق وهو ولاية خزائن الأرزاق ليخدم مرحلة القحط التي شاهدها الملك في منامه وأولها يوسف بأنها ستستمر سبع سنين ﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي**

﴿حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

وقد خدم كتاب الوحي - رضوان الله عليهم- كتاب الله وكان منهم أبي بن كعب وزيد ثابت وعلي بن أبي طالب، وعثمان وحنظلة الأسدي ومعاوية وعبد الله بن الأرقم، وكان الكاتب المواظب لرسول الله ﷺ زيد بن ثابت ﷺ، وروي أن رسول الله ﷺ أمره أن يتعلم السريانية ليجيب من يكتب له بها فتعلمها ﷺ عنه في ثمانية عشر يومًا. وفي هذا إيعاز للمسلمين أن يتعلموا اللغات الأجنبية؛ لأنهم يقضون بها مصالح بلدهم وينشرون بها دعوة دينهم، وما أجمل أن يجوّد الكاتب خطه في هذا العصر الذي ساءت فيه معظم الخطوط، فقد قيل: الحظ الحسن يزيد الحق وضوحًا.

والحقُّ أن كثيرًا ممن يتقدمون للامتحانات خسفت درجاتهم لرداءة خطوطهم، وقد فضل بعض الحكماء الكتابة على الخطابة، فقال: خط القلم يقرأ في كل مكان وفي كل زمان ويترجم إلى كل لسان، أما اللفظ فلا يجاوز الآذان.

أمر الخليفة أبو جعفر بسجن بعض الكُتاب فكتب أحدهم على رقعة نظيفة وبخط جيد ثلاثة أبيات، وأرسل بها من السجن إلى الخليفة، فلما قرأها أعجب بها وبذوق الخط فعفا عنهم، وهذه هي الأبيات:

أطال الله عمرك في صلاح ... وعز يا أمير المؤمنينا

ونحن الكاتبون وقد أسأنا ... فهبنا للكرام الكاتبينا

بعد لك نستجير فإن تجرنا ... فإنك رحمة للعالمينا

وقد كره الفقهاء أن يتخذ الإمام المسلم كاتبًا خاصًّا يهوديًّا أو كافرًا، ويروى أن أحد الأئمة دخل على المأمون فوجده يقرب كاتبًا يهوديًّا قد اصطفاه من بين الكتاب، فقال الإمام للخليفة: يا أمير المؤمنين، حضرني بيت من الشعر في هذه اللحظة، فهل تأذن لي في إنشاده؟ قال: نعم. فقال:

إن الذي شُرِّفت من أجله ... يزعم هذا أنه كاذب

فخجل المأمون واستبدله.

من أحاديث الآداب

من آداب اللباس

الحمد الذي أطعمنا وسقانا ورزقنا من الطيبات، وأشهد أن لا إله إلا الله أكرمنا بدين الإسلام، وهدانا إلى الباقيات الصالحات، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إمام الدنيا ورحمة الكائنات، اللهم صلِّ عليه وعلى آله وصحبه أهل العزائم والكرامات.

أما بعد؛ اللباس من أعظم نعم الله على العباد؛ لأنه يواري السوءة، ويدفئ الجسد، وهو كما قال تعالى: ﴿**وَرِيشًا**﴾ أي: يجمل المرء كما يجمِّل الطير ريشُه، وتصور طائرًا أو طاووسًا يتيه بريشه وطائرًا آخر منتوف الريش ترى بَوْنًا شاسعًا بينهما من حيث الصحة والجمال والزينة، وفي هذا يقول الله تعالى في سورة «الأعراف»: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ**﴾ [الأعراف: ٢٦].

وقد أمرنا ربنا أن نتجمل بأجمل ما نملكه من الملابس، وخصوصًا إذا توجهنا إلى الصلاة في المسجد، يقول الله تعالى في سورة «الأعراف»: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾ [الأعراف: ٣١]. (أي: البسوا أجمل ملابسكم)، وقد نزلت هاتان الآيتان لأن بعض الحجاج في الجاهلية كانوا يطوفون بالبيت عراة اتباعًا لتقاليد بالية فنعى عليهم القرآن ذلك وقال يخاطبهم هذا الاستفهام التعجبي: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [الأعراف: ٣٢]. نعم إن هذه النعم لا يمكن أن يحرمها ربنا في الدنيا، وقد جعلها خالصة للمؤمنين يوم القيامة.

إنَّ التستر من فطرة الإنسانية أما التعري فينكره العقل ولا يستسغه الذوق أن المرأة التي تتعري أو تكشف مفاتنها في الشوارع هي امرأة، قد سفهت نفسها وجهلت فطرتها، ألم تر إلى أبينا آدم وأمنا حواء تسبب الشيطان في نزع ملابسهما طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، أي: يغطيان أنفسهما بأوراق أشجار الجنة لكي يواريا سوءاتهما.

والمسلم إزاء هذه النعمة، أعني: نعمة اللباس، يلتزم آدابًا إسلامية مستقاة من معين كتاب الله وسنة رسوله، نوجزها في الأمور الآتية:

١- ألا يتشبه الرجل في لباسه بالمرأة، وألا تتشبه المرأة في لباسها بالرجل، فللمرأة ملابسها المحتشمة الساترة، وللرجل ملابسة النظيفة التي تعينه على العمل، يقول رسول الله ﷺ في الحديث: «**لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال**».

لقد شاع في هذه الأيام بين شباب الغرب أن يلبسوا ثيابًا مشجرةً مزخرفةً كملابس النساء، وأن تبرز المرأة كالمهرة العربيدة في ملابس الرجال كاشفة عن ساقيها، وربما كتفيها وذراعيها، مما يبعث الفتنة ويفسد القلوب، ثم صدر الكفار تلك العادات الخبيثة إلى الشباب المسلم فاستجاب بعضهم ممن في نفسه غرض وفي قلبه مرض، وصار الشابُّ كما قال الشاعر:

لهفي على ابن الأكرمين مخنفسٌ ... رخصًا يسابق في الدلال الغيدا
مستعبد التفكير خلف عدوه ... كالقرد يقضي عمره تقليدا
بسوالف وسلاسل وأظافر ... يعصى الإله لكي يطيع يهودا
الشعر منسدل على أكتافه ... يتسلح الأمشاط لا البارودا
والضَّيِّقُ الشفاف صور شكله ... أنثى وصير عقله محدودا
فالكعب عال والقميص مزخرف ... وغدَا ترى خالاً له ونهودا
إن كان يكره للفتاة تَبَرُّجٌ ... أنكون نحن المائسين قدودا

٢- إذا استفاد غنى ويسر الله عليه؛ فيجب أن تظهر عليه آثار النعمة، وذلك بلبس الملابس النظيفة الحسنة، فقد جاء في الحديث الذي رواه النسائي أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ وعليه ثوب دون. فقال له رسول الله ﷺ: «**ألك مال؟**» قال: نعم. من كل المال قد أعطاني الله ﷻ. قال: «**فإذا آتاك الله مالاً؛ فليُر أثر نعمة الله عليك وكرامته**».

٣- إذا خرج في الأعياد والجُمع وملتقيات المؤمنين؛ فعليه أن يلبس أجمل ثيابه؛ ليبدو المسلمون وكأنهم أزهار الربيع منظرًا بهيجًا، وشذًا عاطرًا، يقول رسول الله ﷺ: «**مَا عَلَى أَحَدِكُمْ إِنْ وَجَدَ سَعَةً أَنْ يَتَّخِذَ ثَوْبَيْنِ لِجُمُعَتِهِ سِوَى ثَوْبَيْ مِهْنَتِهِ**».

٤- ألا يلبس الحرير إلا للضرورة القصوى كحساسية الجلد مثلاً؛ لأن للمسلم في هذه الحياة رسالة أسمى من أمور الترف والتنعم والتأنث، ولهذا نهاه الإسلام عن التجلي بالذهب

واستعمال آنية الذهب والفضة كما نهاه عن لبس الحرير، فقد جاء في الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تلبسوا الحرير؛ فإن من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**»، وروى أبو داود عن علي ﷺ أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ أخذ حريرًا فجعله في يمينه وذهبًا فجعله في شماله ثم قال: «**إن هذين حرام على ذكور أمتي**».

٥- هذا، ومن آداب اللباس أن يكون واسعًا وساترًا وخصوصًا للمرأة؛ لأن الضيق يبرز مفاتن المرأة. على المرأة أن تغطي جسدها كله ماعدا الوجه والكفين وحجاب الوجه زين للمرأة يصرف عنها العابثين، وفي المثل: «لا يخبأ إلا الغالي»، ومن المعروف أن المرأة التي تستر جسدها يظل عفيًا ناعمًا بينما المرأة المتكشِّفة يخشن جسدها ويرخص فلا يعود في الأعين جميلاً، وقديمًا كان الشاعر يرى معصم المرأة وقدمها جميلاً وكفيها جميلين، ومن ذلك قول الشاعر:

أبدت لنا من وراء السجف معصمها ... فلم نكد بحبال الصبر نعتصم

٦- هذا، ومن آداب اللباس ألا يشذ المؤمن عن اللباس الذي ارتضاه والمؤمنون من أبناء بلده، وألا يلبس ثوب شهرة، وهو الذي يخالف الرجل به مجتمعه المسلم، فيشتهر، ولقد نعى رسول الله ﷺ على مَن يلبس ثوب شهرة، إن كثيرًا من النساء قد تبتكر أزياء غير معتادة في البلد فيكون لها بتلك الثياب شهرة حتى إنه ليعرفها كل مَن يراها.

٧- ويستحب لمن يلبس جديدًا أن يسمِّي الله عندما يلبس ويقول: «**اللهم أعطنا خيره، وخير ما هو له، وأكفنا شره وشر ما هو له**».

وأخيرًا؛ فإن أي لباس يلبسه الإنسان لا يجوز أن يتجاوز الكعبين أو يتخذ للخيلاء؛ لأن الكبرياء صفة من صفات الله العلا التي لا يجوز للعبد أن يتشبه بربه فيها، وفي الحديث الشريف ما معناه: «**لا يدخل الجنة مَن جرَّ ثوبه خيلاء**».

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۞ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**﴾، ﴿**قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾.

من أحاديث الآداب

آداب السلوك للرجال والنساء

قد ترى في هذه الأيام شابًّا يعلق في عنقه سلسلة ذهبية، ويلبس قميصًا زخارفه صارخة وسراويل ضيقة تبرزه، وكأنه بلا ملابس، وقد يزيد على ذلك فيمشي مشية النساء، ويضحك ضحكتهن، ويمضغ الكلام، وعلى الجملة، فهو يحاول جهده أن يضيع كل علائم التذكير، ويستبدل بها أساليب النساء، وقد شاع هذا الأمر أول ما شاع في بلاد الغرب ثم ما لبث أن نقله أهل التقليد الأعمى إلى ديار الإسلام، وفي الوقت الذي أقبل فيه خلعاء الرجال على أساليب النساء رأينا رد فعل في النساء؛ لأن الرجل حين يتأنث تحتقره المرأة فتسترجل، وإذا استنوق الحمل استجملت الناقة، وكما اختار بعض من لا خلاق لهم من الشباب طريقة النساء اختارت فواسد من النساء طريقة الرجال، فبرزن في الطريق عاريات، وأفسدت الشوارع والمحال التجارية بالتبرج المزري والاستهتار السافر فانقلبت بذلك مقاييس مجتمعنا حين اتخذ الإسلام وراءه ظهريًا، وشرع يضاهئ سلوك الذين كفروا.

إنَّ دين الإسلام حين حرَّم على شباب الإسلام لبس الذهب والحرير والأكل في صحاف الذهب والفضة لم يرد حرمانهم من زينة الله التي أخرج لعبادة لكنه يشعرهم بهذا التحريم أن الشاب المسلم لم يخلقه للترف المرخص والمتع الرخيصة لكنه اختار لحمل رسالة الهدى ودين الحق ليهيمن الإيمان والتوحيد على كلِّ شرك ولو كره الكافرون.

إنَّ الشابَّ المسلم يحمل في يمينه نور الهداية وينطلق إمامًا للإنسانية يدعوها إلى الخير ويسير بها إلى حيث شطآن الأمن والسعادة والعزة والكرامة، وتلك رسالة تحتل العمر كله، فلا تترك من بعد مجالاً أو فراغًا للنعومة المتأنثة والميوعة الرخصة.

ومن أجل هذه الأهداف النبيلة العظيمة أهاب الإسلام بالمرأة أن تجعل كل همها الأمومة الرحيمة والتربية السليمة، وأهاب بالرجل أن يجعل رسالته خوض الحياة بكل متاعبها وأوحالها ليحقق لنفسه بل وللبشرية سعادة الدارين.

وهذه بعض الأحاديث الكريمة حول بعض آداب سلوك الرجال والنساء، وهو سلوك

يتفق والفطرة التي فطر الله الناس عليها لا تبديل لخلق الله:

- جاء في سنن ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أيها الناس، انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر في المسجد**».

- وفي الصحيحين والسنن قال رسول الله ﷺ: «**لا ينظر يوم القيامة إلى مَن جر ثوبه خيلاء**».

- وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ: «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاَتٌ مَائِلاَتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لاَ يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا**».

- وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ قال لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: «**يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا**» وأشار إلى وجهه وكفيه.

- وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ: «**لا تلبسوا الحرير؛ فإن مَن لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**»، وفي زيادة: «**إنما يلبس الحرير مَن لا خلاق له**».

- وفي صحيح البخاري عن حذيفة ﷺ قال: نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيه، وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليهما.

- وفي صحيح البخاري: «**لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال**». وفي رواية للبخاري: «**لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال والمسترجات من النساء، والمخنث لا تعني مَن تُعمل به الفاحشة، ولكن معناها المتكسر المتمايل المتثني كما يفعله النساء**».

- وروى أصحاب السُّنن أن رسول الله ﷺ لعن الرجل يلبس لباس المرأة، والمرأة تلبس لباس الرجل.

- وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ أُتي بمخنث قد خَضَّب يديه ورجليه بالحناء فقال: «**ما بال هذا؟**» قالوا: يتشبه بالنساء. فأمر به فنفي إلى مكان بعيد بالمدينة يقال له النقيع، وهو غير البقيع.

- وفي سنن النسائي أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه والديوث، ورجلة النساء**».

أولاً: إن فطرة الله التي فطر الخلق عليها زوّدت الرجل بخصائص وأعضاء توحي برسالته في الحياة كما زوّدت المرأة بصفات وأعضاء تتناسب ورسالتها في الحياة، ففي الذكر قوة وجلد وخشونة، وفي المرأة رقة وحنان وأمومة صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة.

وإن من مسخ الفطرة وتشويهها أن يغير الإنسان فطرته، وحسبك أن تتحسس فطر الذكورة في الحيوان فتنظر إلى كبش بين قطيع أو ديك بين زوجاته أو فحل من فحول المها أو الظباء بين سربه لترى أن الذكر أعظم قوة وإيثارًا ورعاية للمجموعة، في حين ترى في الإناث وداعة ونعومة، وهي حقيقة تقررها الفطرة رغم أنف الكثيرات من النساء اللائي يردن أن يغيرن صبغة الله.

ثانيًا: لا بدَّ أن يكون الرجل هو القوّام الأول على الأسرة، وأن تسلم المرأة له بهذا القيام، وتعينه عليه؛ لأنه أقدر على ضبط الأسرة من المرأة بما آتاه الله من قوة وبما أنفق من كسبه؛ إذ بينما تكون المرأة خضنًا رءومًا دافئًا للأطفال، وصدرًا حنونًا رحيمًا للأبناء والبنات وبينا هي تهدهدهم في الليالي ليهنئوا بنوم صحي هني. ترى الرجل يخوض وحول الحياة سابحًا في البرد والظلام يسعى لرزق الأسرة وإعفافها، ويكسب قوتها من بين ذراعي وجبهة الأسد، وعلى الرغم من قيام الرجل على المرأة؛ فإن رسالة الأم في تربية الأجيال وضعها على عين الفضائل لا تقل قداسة عن رسالة الرجل الذي يحوط الأسرة برعايته ويوفر لها العيش بسعيه.

ثالثًا: وقد أثبت الواقع أن الأسرة التي يكون الرجل قوامًا عليها ومصرِّفًا لشئونها تكون بإذن الله أسرة منضبطة يلزم فيها البنون والبنات حدودهم، ويعرفون واجباتهم وحقوقهم، أما الأسرة التي تحكمها المرأة ويخنس فيها الرجل؛ فيغلب أن ترى حبلها منصرمًا، وترى في بناتها وأبنائها انفلاتًا خطيرًا وانطلاقًا مرديًا، ولا غرو فالمرآة تغلبها العاطفة في أساليب التربية فيزول من أطفالها روح المهابة التي تفرضها هيمنة الأب، وقديمًا أوصى الحكيم ولده فقال: إذا أردت الزواج فتزوج ابنة رجل وإياك وابنة المرأة.

رابعًا: إن أمتنا العربية الإسلامية في هذه الأيام أحوج ما تكون إلى الرجولة؛ لأننا في عصر عادت فيه الإنسانية إلى شريعة الغاب وطبيعة الذئاب، وقد هتك الكفر حرمات حمانا وعاث فسادًا في أوطاننا وأقداسنا، فإذا اتخذ شبابنا في هذه الظروف سبل الهوى والضعف والرخاوة فقد استحقوا أن تنفذ فيهم سنن الله في أهل الفساد ممثلة في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾ [الإسراء: ١٦].

من أحاديث الآداب

التوبة الصادقة وطلب المغفرة

قرأنا في كتب الإغريق أوصافًا لكثير من آلهتهم، تصور أولئك الآلهة المزعومين جبابرة ظلمة مدمرين، وتصور بعضهم قساة القلوب غلاظًا لا تعرف الرحمة إلى قلوبهم سبيلاً.

وقرأنا في كتب اليهود أوصافًا لربهم تصوره غضوبًا جارف الغضب لا يُبقي في العقوبة ولا يذر ولا يقبل عذرًا لمن اعتذر، وبخاصة إذا كان ذلك الإنسان من غير بني إسرائيل، فلما جاء محمد ﷺ بالهدى ودين الحق وصفه لنا ربنا ﷻ بأوصاف تملأ قلوبنا حبًّا وإجلالاً وشوقًا وحنينًا له علَّمنا رسول الله ﷺ أن ربنا هو الرحمن الرحيم، وأنه الحكم العدل الذي حرَّم الظلم على نفسه قبل أن حرمه بين العباد، وعلَّمنا أنه ﷻ حليم يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله، ومع أنه الغني عن عباده فهو يدعوهم إليه ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار كما يبسطها بالنهار ليتوب مسيء الليل، وأنه فتح أبواب التوبة أمام كل العصاة والمجرمين إلى أن تطلع الشمس من مغربها.

وعلَّمنا رسول الله ﷺ أن ربنا يضاعف الحسنات ويوفي المحسنين أجرهم بغير حساب بينما يجزي على السيئة مثلها فقط وقد يمحوها بواسع عفوه، وأنه لا إله إلا هو يغفر الذنوب جميعًا مهما عظمت إذا لقي المذنب ربه موحدًا له لا يشرك بجلاله أحدًا، وأنه وهو الغني ذو الطول يفرح بتوبة عبده التائب فرحة عظيمة، وبمجرد أن يتوجه العبد نحوه يبسط له كف

القبول، وبمجرد أن يبدأ في السير نحوه يقبل ربنا عليه هرولة، وعلمنا رسول الله ﷺ أن كثرة الذنوب لا يجوز أن توئس صاحبها من رحمة الله، وأن العبد لو لقي ربه بملء الأرض خطايا وقلبه صادق التوحيد لا يشرك مع الله أحدًا فإن الله ﷻ يلقى ذلك العبد المسيء بملء الأرض مغفرة. قال رسول الله ﷺ: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**»، وقال في الحديث المتفق عليه أيضًا: «**إِنَّ لله مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

- وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم**»، وفي صحيح مسلم أيضًا أن رسول الله ﷺ قرأ قول الله تعالى من سورة «إبراهيم» على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿**فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [إبراهيم: ٣٦]. وقرأ من سورة «المائدة» قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [المائدة: ١١٨] فرفع يديه ﷺ وقال: «**اللهم أمتي**»، وبكى، فقال تعالى: «**يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلاَ نَسُوءُكَ**».

- وفي الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ شرح قول الله تعالى في سورة «إبراهيم» عليه السلام: ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ [إبراهيم: ٢٧]. فقال: «**المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**».

ولقد علَّمنا رسول الله ﷺ أن الصلوات الخمس وحدها كافية أن تغسل المؤمن من خطاياه كما لو استحم خمس مرات من نهر جارٍ، وأن شهادة المؤمنين للمسلم وقيامهم على دفنه تكفي لأن يغفر الله له ذنوبه؛ ففي صحيح مسلم: «**ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه**»، وفي الحديث المتفق عليه: «**إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَي رَبِّ. حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ. فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ**».

لقد علَّمنا رسول الله ﷺ أن الله ﷻ أرأف بعبده المؤمن من الوالدة بولدها، ومن أم الطير بفرخها، وعلَّمنا أن نحسن الظن بالله، وأن جميع أهل الجنة إنما يدخلونها برحمة الله لا بأعمالهم؛ لأن عمل العبد مهما عظم لا ينهض لثواب في مثل عظمة الجنة. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته**».

إنَّ هذه الأوصاف العظيمة لرحمة الله لا يجوز أن تنسينا غَضْبة الحليم، ولا أن تؤمننا من مكر المنتقم ﴿**إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [الأنعام:١٦٥].

وعلى أي حال؛ فإن قرآننا الكريم وسنة نبينا المباركة قد وصفا لنا ربنا ﷻ في صورة محببة لها هالة متألقة من الرحمة والنور تجعلنا أشد حبًّا له من كل حبيب، وأعظم احترامًا لله من كل مهيب، ولقد سئل أحد السلف: لو خيرت في القيامة أن يتولى حسابك أبوك بكل ما فيه من عطف عليك أو أن يحاسبك الله ﷻ؟ فقال: والله إني لأختار ربي ليحاسبني لأن لي فيه رجاء أن يكون أرأف بي من أبي وأمي ومن كل ذي رحمة من مخلوقاته.

إنَّ الداعية الذكي تراه في معظم وعظه يبشر ولا ينفر وييسر لا يعسر، ويعطي عن الله ﷻ أحلى الأوصاف وأجمل النعوت لتكون علاقتنا بالله في الدرجة الأولى علاقة حب لذاته العظيمة، وشوق إلى وجهه الكريم، فتلك هي الحكمة والموعظة الحسنة، كما أنها طريقة رسول الله ﷺ الذي أوصانا ألا يموت أحدنا إلا وهو يحسن الظن بالله، ويميل إلى الرجاء في وجهه الكريم غير قانط من رحمته ولا آمن مكره، اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك.

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: ٥٣].

***

من أحاديث الآداب

ظاهرة الكروش الكبيرة بين الناس

ترى في هذه الأيام ظاهرة في معظم الرجال والنساء الذين تجاوزوا الخامسة والثلاثين من العمر، وهي ظاهرة ضارة وداء من أدواء الغنى والرفاهية، بل لعلها هي داء العصر.. إنها ظاهرة (الكرش الكبير) وهي أمر خطير يعجل بالشيخوخة ويتعب الركبتين ويشوه منظر الإنسان، وقد كان هذا المنظر خاصًا بالعبيد؛ لأنهم لم يكونوا يجاهدون، وكان بعضهم كثير الجلوس والسرف في الأكل، فكان بعض العبيد يشبهونه بالمرأة الحبلى.

يقول أبو الطيب يصف كافور بكبر البطن:

إِنَّ اِمـــرَأً أَمَـــةٌ حُـــبلى تُـــدَبِّرُهُ لَمُستَضـــامٌ سَـــخينُ العَـــينِ مَفـــؤودُ

إنَّ سبب شيوع السمنة في بعض المجتمعات هو شيوع النعمة وسهولة الحصول على أنواع الأطعمة، ومن ثم كان السرف في الأكل واقترن ذلك بقلة الحركة والمشي لتوفر الركائب، فترهلت بذلك الأجسام، وتدلت الكروش حتى إن بعض الرجال والنساء قد لا يجدون في السوق ملابس تناسب أجسامهم.

إنَّ طيبات الرزق حلال، والله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده لكن الإسلام وسط والمسلمون أمة وسط والسرف في الإسلام شيطنة، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ**﴾ [الإسراء: ٢٧]، وقد جمع ربنا ﷻ الدواء بقوله في سورة «الأعراف»: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا**﴾ [الأعراف: ٣١]، ونفَّر المسلمين من الإغراق في إشباع الشهوات حتى لا يحرموا طيبات الآخرة، يقول الله تعالى في سورة «الأحقاف»: ﴿**وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ**﴾ [الأحقاف: ٢٠].

الإسلام لا يمنع المؤمن أن يجمع من طرق الحلال آلاف الملايين على ألا تنسيه هذه النعم حق الله في المال وحق نفسه وأسرته فيه، وعلى ألا يتجاوز الحد المعقول في التمتع بطيبات

الرزق، فلقد حذر رسول الله ﷺ من الإغراق في الطعام والشراب فكان إذا أكل رطبًا جيدًا أو شرب ماءً باردًا قال لمن شاركه: «**والله لتسألن عن النعيم**»، وقد نهى رسول الله ﷺ عن الإكثار من المآكل والمشارب والإمعان في الشبع.

- جاء في صحيح البخاري أن رجلاً مشركًا كان يأكل كثيرًا، فلما أسلم صار يأكل أكلاً قليلاً فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**إن المؤمن يأكل في معي واحد، وإن الكافر يأكل في سبعة أمعاء**».

- وفي سنن ابن ماجه والترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ؛ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**».

- وفي سنن الترمذي وابن ماجه أن رجلاً تجشأ (أي: أخرج ريحًا من زوره) عند رسول الله ﷺ فقال له: «**كُفَّ عَنَّا جُشَاءَكَ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

- وللبخاري في كتاب (الضعفاء) عن عائشة - رضي الله عنها- قالت: أول بلاء حدث في هذه الأمة بعد نبيِّها الشَّبع، فإن القوم لما شبعت بطونهم سمنت أبدانهم، فضعفت قلوبهم وجمحت شهواتهم.

- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**».

- وفي سنن البيهقي أن أحد الصحابة واسمه اللجلاج عاش مائة وعشرين عامًا وكان يقول: ما ملأت بطني طعامًا منذ أسلمت مع رسول الله ﷺ آكل حسبي وأشرب حسبي(أي: على قدر القوت).

- وفي سنن النسائي وابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال: «كلوا واشربوا وتصدقوا ما لم يخالطه إسراف أو مخيلة» (أي: كبرياء).

- وفي سنن البيهقي أن رسول الله ﷺ رأى أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها- وقد أكلت في يوم مرتين، فقال لها: «**اتخذت الدنيا بطنك، أكثر من أكلة كل يوم سرف، والله لا يحب المسرفين**».

- وفي مسند أحمد أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ حين بعث به إلى اليمن: «**إياكم والتنعم، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين**». أي: ليسوا الذين يُغرقون في المطاعم والمشارب والنعومة.

أولاً: إذا أنعم الله عليك بمال وفير فلا تنطلق وراء نفسك تطعمها ما تشتهي؛ لأنها عندئذ ستتعود وأنت لا تأمن تحول الحال، ثم إن كثرة الطعام تقسي القلب، ولقد كان من سلفنا الصالح - رحمهم الله- أغنياء لكنهم كانوا يتقشفون ليؤثروا على أنفسهم ويصونوها عن الجشع والأنانية.

إنَّ المرء إذا أقبل على الطعام بنهم رأيته يشبه الحيوان، وفي هذا يقول ربنا جل شأنه: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ**﴾ [محمد: ١٢].

ثانيًا: الاقتصاد ليس معناه البخل، لكنه التوسط والاعتدال، وهذا خلق مدحه القرآن الكريم فقال: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**﴾ [الفرقان: ٦٧]. وعدَّ الله أصحاب الجنة فذكر منهم: السابق بالخيرات والمقتصد.

ثالثًا: إن ما نحن فيه الآن هو سرفٌ وأي سرف؛ لأننا نأكل المواد الشحمية كل يوم، ونكبُّ النعمة في الزبالة، ويجلس أحدنا على المائدة حتى لا يكاد يقوم، ويأتي الضيف الواحد فنذبح له الذبيحة الكبيرة ولا نجد من يأكلها، وننوع في المأكل والمشارب بما لا تتسع له معداتنا فيبدو علينا الكسل والميل إلى النوم، والنعمة إذا بُطرت زالت، يقول تعالى: ﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا**﴾ [القصص: ٥٨].

فلا بدَّ من الاعتدال والشكر كي لا تزول النعم، وقد أسلفنا أن سلفنا الصالح كانوا أغنياء لكنهم كانوا يتخشَّنون حتى لا يذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا، وذكرنا أن أمنا عائشة - رضي الله عنها- وزعت سبعين ألف درهم وباتت ليلتها طاوية؛ لأنها نسيت أن تبقي لنفسها ما تشتري به عشاء، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۞ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۞ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۞ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۞ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۞ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ۞ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۞ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ**﴾ [الذاريات: ١٥- ٢٣].

من أحاديث الآداب

أمانـــة الكلمـــــــة

لعل من أعظم الأمانات التي حُمِّلها الإنسان فحملها ما نسميه في أيامنا هذه أمانة الحرف أو أمانة الكلمة، وأعني بذلك أمانة صون اللسان بحيث لا يقول الإنسان إلا خيرًا، ولا ينطق إلا حقًا وصدقًا ولا يكتب أو ينظم أو يؤلف إلا ما ينفع الناس، ويُبقي له ذكرًا في المحسنين، وسنة حسنة في المتقين، ولا شكَّ أن الصحفيين والمؤلفين والشعراء والأدباء هم أشد الناس مسئولية إزاء هذه الأمانة الثقيلة، وأشهد أن جمًّا غفيرًا من هؤلاء حملوا أمانة الكلمة فما رعوها حق رعايتها، ولا أدوها حق أدائها.

والحقُّ أن اهتمام الإسلام بأمانة الكلمة فاق كل تصور، وكتاب الله خير شاهد على ذلك، يقول الله ﷻ في سورة «البقرة»: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**﴾ [البقرة: ٣١- ٣٢]، ثم يقول بعد ذلك مباشرة: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ**﴾ [البقرة: ٣٤].

وواضح من وحي السياق أن شرف أمانة الكلمة كان سببًا في سجود الملائكة لآدم. إن معجزة محمد ﷺ كانت قولاً كريمًا، وقولاً ثقيلاً، أي: ثقيل المسئولية والتكاليف، وكلمة التوحيد على اختصارها ترجح بالسموات والأرض، وحسبك أن إبراهيم عليه السلام أورث ذريته كلمة عظيمة هي كلمة التوحيد، قال تعالى في سورة «البقرة»: ﴿**إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ**﴾ [البقرة : ١٣١]، وقال ﷻ في سورة «الزخرف»: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۞ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ۞ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [الزخرف: ٢٦- ٢٨]، أي: لعلهم يعودون دوامًا إلى التوحيد الحق كلما مالت بهم عنه الأحوال والظروف.

إنَّ الكلمة الطيبة تصعد إلى مسامع الله، يقول ربنا ﷻ في سورة «فاطر»: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ**

﴿الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، والكلمة الطيبة كما يصورها القرآن كالشجرة الطيبة الثمار تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وتكون بإذنه ثابتة الأصول، سامقة الفروع، لا تزال الأمة تجني من ثمارها ما يبعث القوة والثبات، أما الكلمة الخبيثة فلا أصل لها، ولا فرع ولا نفع ولا ثمار.

- جاء في الصحيحين: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**».

- وفي الصحيحين أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها** (أي: ما يلقي لها بالاً وتثبت من صحتها) **يزلُّ بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**».

وفي رواية: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يرى بها بأسًا يهوي بها سبعين خريفًا**».

- وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تكثروا بغير ذكر الله؛ فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب**».

ولمالك -رحمه الله- في «الموطأ»: «**لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسوا قلوبكم**».

- وروى البخاري ومسلم -رحمهما الله- أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله كره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال**».

- وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان** (أي: تذكره) **فتقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا**».

- وفي مسند أحمد من حديث أنس: «**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه**».

أولاً: الصحافة في أيامنا هذه أبرز المتصدرين لأمانة الكلمة، والصحفيون الآن هم الذين يتحملون أمانة الحرف، ويتبوءون منابر التوجيه، والناس في كل صباح يتلقفون الصحافة ويتتلمذون على رجالها طوعًا أو كرهًا، ومن ثم كان الصحفي ملاكًا من ملائكة الخير والفضائل إن أحسن، وشيطانًا من شياطين الدمار والتخريب إن أساء. ويلي الصحفيين في حمل الأمانة الشعراء فالشعر كان وما زال محببًا إلى النفوس، والشعراء كانوا وما يزالون حداة لقافلة الإنسانية يرشدونها إلى سبل السلام وشطآن الأمان.

obeikandi.com

ومن الأمانة أن نعترف أن الصحفيين إلا القليل منهم وأن الشعراء إلا النزر السير ضيعوا أمانة الكلمة، وجعلوا شعارهم كسب المتاع الزائل، يتلمسونه من الجهات المشبوهة حتى لقد رأينا صحفًا وصحافيين رضوا لأنفسهم أن يكونوا أذنابًا وعملاء للأعداء، فالعدو يمد الصحيفة بالمال سرًّا وجهرًا، والصحيفة تحترف بث الأفكار المسمومة، وتخريب المُثل الاجتماعية، وترويج الأكاذيب، وهدم التراث، والإطاحة بالمعنويات.

إنني أعرف صحافيين وشعراء بخلوا أن يرطبوا ألسنتهم بكلمة واحدة من ذكر الله، وأعملوا أقلامهم وألسنتهم في هدم ديننا وتراثنا ومعالم حضارتنا، كل ذلك ليرضوا أنصار الشيطان، فينالوا منهم عرضًا رخيصًا من المال، ولو كان ثمن ذلك العرض انهيار أمتهم.

ثانيًا: إن المُطالع للكثير من المجلات المصورة والجرائد الشائعة يلمس حرصها الشديد على نشر المعاصي، وتضليل الرأي، وتحسين القبيح، وتقبيح الحسن؛ لتفسد على المسلمين مفاهيمهم، وتلبس عليهم دينهم، ومثل هؤلاء ينسون أو يتناسون أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين؛ لأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه.

ثالثًا: يحثنا الإسلام ألا نشغل ألسنتنا بباطل القول، وأن نصون المسلمين من ألسنتنا كما نكف عنهم أيدينا، وأن نجعل نطقنا ذكرًا وصمتنا عبادة وفكرًا، وأن نتجنب الهذر من قيل وقال، وأن نطهر ألسنتنا من الفحش والبذاءة والباطل لتستقيم تبعًا لذلك قلوبنا، وأن نعلم أن علينا حفظة من الله يكتبون ما نقول وما نفعل، وأن نردد كلما تحركت ألسنتنا للقول قول الله تعالى: ﴿**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [ق: ١٧، ١٨].

(٢) أمانة الكلمـــــة

من أهم آداب المؤمن ما نسميه: أمانة الكلمة، فهو أبدًا يؤديها كما أراد الله لها، ويحرص ألا يخونها مهما تبرج من حوله الرَّغب، وتجهم في وجهه الرَّهب، والمؤمن يعتبر لسانه وقلمه أمانة عظمى من الله ﷻ، يقول الله تعالى: ﴿**لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [ق: ١٨]، ويقول فيمن يسخِّرون أقلامهم في الكذب والجدل ومسخ

الحقائق: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

لقد كانت أمانة الكلمة أول أمانة أؤتمن عليها أبونا آدم عليه السلام فلما أداها على وجهها الأتم أسجد الله له ملائكته، وكرَّم نبيه وذريته، يقول ربنا عز وجل في سورة «البقرة»: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣١- ٣٣]، ثم يقول بعدها مباشرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ [البقرة: ٣٤].

إنَّ الكلمة في هذه الأيام توجه الدنيا بأسرها حتى إن الأمم في هذه الأيام تخصص وزارات للكلمة تنفق عليها آلاف الملايين كوزارات الإعلام وللثقافة والتوجيه الوطني والتراث القومي، بل بلغ من أهمية الكلمة أن الوزارات كلها لا تخلو من إدارات للشئون الثقافية والتوعية، وتكاد بعض الدول تنفق على الكلمة كما تنفق على السلاح.

من أجل ذلك أمرنا الله عز وجل أن نقدر أمانة الكلمة حق قدرها، وندعوه أن يجعل لنا لسان صدق وأن يثبتنا بالقول الثابت كما يثبتا بالعمل الصالح. ولأهمية الكلمة وجّه أعداؤنا كل كيدهم وجعلوا أكبر همهم أن يبثوا بيننا الكلمة الخبيثة ليضللوا طريقنا، ويخربوا مفاهيمنا، ويغزوا بالفساد أفكارنا، فحرمونا من الكلم الطيب الذي يؤتي أكله علمًا وأدبًا ونورًا، وعاثوا في حواشينا وأحشائنا وصدورنا يملئون علينا ثقافتنا وإعلامنا زيفًا ودجلاً وأكاذيب، وحسبك أن تلقي نظرة على ما تقذفه الصحافة ودور النشر والإذاعات والرائي من سموم قاتلة وأفكار جاهلة.

وإنَّ المتأمل في تاريخينا الحديث ليستغرب أن تبدأ صحافتنا في العالم العربي بداية نصرانية، وأن يسيطر النصارى على هوية الإعلام في مطالع هذا القرن، وأغرب من هذا أن يكون الإطار الثقافي لإعلامنا إطارًا أجنبيًّا، فتنشأ الصحافة في ديار الإسلام غريبة، ثم يكون المسرح والسينما والفن كله غريبًا مريبًا، ومعروف أن الحركة الإعلامية في أكبر دولة عربية مسلمة

بدأت بداية غريبة شبه أجنبية.

ومنذ ذلك الحين جرد الآلاف من رجال الثقافة العرب ألسنتهم وأقلامهم للتجني على الإسلام ومحاولة تشويهه، وتحول قطاع كبير من الأدباء والشعراء إلى الأدب الإلحادي، فخانوا بذلك أمانة الكلمة، وأقروا بتلك الخيانة عيون الأعداء، وابتهجت الصليبية الحاقدة والصهيونية الغادرة بغربة الإسلام، وإبعاده عن الساحة العسكرية والسياسية والاجتماعية.

حتى لقد أصبح الإسلام في بعض الدول شبهة يراقب صاحبها وتشوه سيرته، لقد حوكم الدكتور نجم الدين أربكان بتهمة أنه يحاول السعي لإقامة دولة إسلامية، وطالب المدعي العام بسجنه ستة وثلاثين عامًا بهذه التهمة، ولما بلغ الخبر إلى مسامع البابا بولس الثاني ابتهج، وقال: الآن اطمأننت على هذه الدولة الحديثة التي تترك للمواطن حرية اختيار دينه، وأنا أول بابا ينحني باحترام أمام قبر مؤسسها، ويقصد بذلك الملحد كمال أتاتورك، والجدير بالذكر أن هذا البابا هو الذي برأ اليهود من دم المسيح؛ فباع بذلك دينه بالعرض الأدنى؛ لأن اليهود وإن لم يقتلوا المسيح فقد خططوا لقتله وقتلوا شبيهه. إن أمانة الكلمة في نظر المؤمن يجب أن تؤدى ولو كان في أدائها الموت المحقق.

إنَّ كلمة حق تقال عند سلطان جائر تجعل من صاحبها شهيدًا في رفقة حمزة ومصعب بن عمير وزملائهما ﷺ، لقد كان الفقيه والإمام المسلم يضع روحه على راحته ليصدع بأمر الله لا تأخذه في كلمة الحق لومة لائم، وحسبك ما تقرأه في سير أشياخنا -رحمهم الله؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية وسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام وغيرهما ممن نذورا أعمارهم لله ﷻ، فكان أن نصرهم، وغرس في القلوب مهابتهم بصدق نواياهم.

لقد كان العلم والأدب والشعر في عالمنا الإسلامي يجند كله للتوعية الإسلامية كأنه حمم بركانية يثير الهمم ويبعث الشمم، أما في حربنا مع الصليبية والصهيونية في هذه الأيام؛ فقد انقسم شعراؤنا بين جم غفير يؤيد الآداب الكافرة وبين قلة قليلة تؤيد الأدب الإسلامي، ورأينا في شعرائنا في هذه الأيام من قصر كل شعره على تقديس الرموز الكافرة المشبوهة، والغريب أن يشتغل اليهود بهتك مقدساتنا وانتهاك حرماتنا وتحطيم مثلنا وقتل إخواننا وأخواتنا وأن يشغل الشعراء العرب قرائحهم في أشعار لا تمت إلى واقعنا بشيء، وأن ينبري

الشعراء العرب الشيوعيون ليتحدثوا عن القضية الإسلامية الفلسطينية وهم المشهورون بالانتهاز والهرب.

لقد بايع رسول الله ﷺ أصحابه ألا تأخذهم في الحق لومة لائم، ثم ينبري شعراء مزيفون من العرب فيقدسون أهل الشر والانحلال والشذوذ من شعراء الكفر، وإذا كان الشعراء والأدباء والصحفيون جميعًا ملزمين بأمانة الكلمة فإن السعوديين منهم يتحملون أمانة الكلمة بمسئولية مزدوجة؛ لأنهم ينتمون إلى دولة تتشرف بتطبيق أحكام الله، وهو شرف أعيا كل دول الدنيا، ولهذا فإن الشعراء السعوديين حين تولهم دولتهم المسلمة ثقتها فتوفدهم إلى محافل القوم -أقول: هؤلاء الشعراء مطالبون أمام الله أن يلتزموا بالمبادئ السامية التي تتبناها حكومتهم، فإن لم يفعلوا ذلك وحادوا إلى طريق الفساد والمفسد فهم في نظر الإسلام خونة، يجب أن يحالوا إلى القضاء.

لقد خضعنا -يا أيها الإخوة- منذ نعومة أظفارنا إلى توجيهات صحافة كانت بعيدة عن الإسلام، وفتحنا أعيننا على الجرائد النصرانية الرائدة، وكان منها الجوائب ومحررها خليل مطران، والذمار ومحررها نسيم العازار، والأهرام لسليم وبشارة تقلا، والمقطم ليعقوب صروف، ومجلة المقتطف للرجل نفسه، والهلال لجورجي زيدان، ومصر لأديب إسحاق، والمشير لسليم سركيس، والمرصاد لأنطون سالم، فسمموا أفكارنا وشككونا في ديننا وتراثنا، وبالمناسبة؛ فأحفاد هؤلاء هم الذين انضموا في هذه الأيام إلى اليهود ليدمروا ديارنا، أفما آن بعد هذا لحاملي أمانة الكلمة أن يتقوا الله في دينهم وأمتهم.

***

من أحاديث الآداب

التمسك بالدين أغلى ذخائر الحياة

إنَّ من أسمى آداب المؤمن أن يعتبر دينه أغلى ذخائر الحياة، وأعظم حظوظ العمر؛ فيحرص عليه أشد مما يحرص على روحه وجسمه ونفسه التي بين جنبيه، وذلك لأن كل مصائب الدنيا تهون إذا تخطت الدين؛ إذ هي تعوض -إنْ شاء الله- مع الصبر والاحتساب، وينال صاحبها بإذن الله جزيل الثواب، ثم إن مصائب الدنيا تنتهي بالموت حين يفاجئها هادم اللذات فيضع لها نهايتها المحتومة، أما مصائب الدين؛ فتبدأ فداحتها عند الموت حين يرى الكافر ساعة موته مقعده من النار.

من أجل ذلك كان رسول الله ﷺ يدعو فيقول: «**اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا**»، ولا غرو فبالدين الخالص تغفر الذنوب جميعًا، وبغير الدين لا يقبل عمل ولا يغفر ذنب، ومن هنا فالمؤمن يقف على ثغرات دينه كالحارس اليقظ ولا يسمح أن ينفذ إلى حماه المقدس ما يفسد صفاءه أو يذهب رواءه، من كسب حرام أو فاحشة مبينة أو ظلم لعباد الله أو معصية تغلف القلوب ران الكفر.

والحقُّ أن حلاوة الإيمان لا يذوقها إلا مَن أخلص دينه لله، وجعله غايته، ورضاء الله أسمى طموحاته، ولم يعدل بدينه غاليًا من الحياة ولا عزيزًا من الأماني يقول النبي ﷺ: «**ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**».

ولقد كان رسول الله ﷺ يمر على المؤمنين وهم يعذبون فإذا قال لهم: «**صبرًا، إن موعدكم الجنة**» استعذبوا نار الدنيا لينجوا من النار الكبرى، وفي صحيح البخاري أن بعض الصحابة قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إلا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا، فقال عليه الصلاة والسلام: «**قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ**».

وإنما ضرب رسول الله ﷺ لأصحابه هذا المثل ليوقنوا أن دين المرء وصدق توحيده هما في نظر المؤمن أغلى من كل تالدٍ وطريف، وأن المؤمن لا ينثني عن دينه حتى لو صبَّ الكفر عليه كل صنوف العذاب. ولقد ابتلي أصحاب الأخدود بالنار ذات الوقود فكان يجاء بالمؤمن منهم فيقال له: تنجو بعافيتك إذا رجعت إلى الكفر وتكون لك عندنا كرامة فإن أبيت فهذه النار مصيرك فينظر إليها وهي تتلظي فلا تبقي ولا تذر فيلقي نفسه فيها محتسبًا عند الله روحه مستنجزًا وعد الله -جلَّ وعلا- مستبشرًا ببيعه الرابح: ﴿**إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾، وفي حديث أصحاب الأخدود كما رواه مسلم: «**أنه جيء بامرأةٍ ومعها صبي لها فتقاعست لما رأت النار، فقال لها الغلام: يا أماه اصبري؛ فإنك على الحقِّ**».

ولقد كان رسول الله ﷺ يخشى على أصحابه الدنيا حين تقبل عليهم بنعيمها وزخرفها فتنال من دينهم وتفتنهم فتهلكهم كما أهلكت أجيال الكفر من قبلهم، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ لأصحابه: «**وَاللهِ لاَ الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**».

وحذَّر رسول الله ﷺ أصحابه أن يتأثروا إذا تغير الزمان، وآثر ذوو النفوذ أنفسهم على رعيتهم، وبيَّن لهم علاج ذلك إذا شاعت الأثرة والأنانيات فقال رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**إِنَّهَا سَتَكونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا! قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسأَلُونَ الله الَّذِي لَكُمْ**».

هذا، ومن أراد أن يتعلم التضحية في سبيل الدين فليتخذ قدوته رسول الله ﷺ فقد جاء في الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن مسعود يروي مشاهدة رآها بعينه فيقول: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيًّا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**».

ولعل أعظم الطرق في صون الدين والحرص عليه أن يقف عند حدود الله، فلا يسمح للحرام أن يدنس ماله، ولا يسمح للأهواء أن تستبد برأيه، وأن يقهر النفس ويقسرها على الانقياد لحكم الله، وليعلم أن الله لا تخفى عليه خافية من سريرة المرء وعلانيته، فإذا خلا ولم يره أحد؛ فليعلم أن الله ﷻ هو عالم الأسرار الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات

ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، ثم ليتذكر فقره إلى غنى الله، وضعفه إلى قوة الله، فإذا دعاه الغنى إلى بطر النعمة أو الإغراء المعصية فليعلم أن الذي حباه النعمة قادر على أن يزيلها، وإذا دعته قدرته على ظلم الضعفاء فليتذكر قدرة الله عليه.

وما أجمل أن يتحلى المؤمن بثلاثة أنواع الصبر فيصبر على القضاء، ويصبر على الطاعة، ويصبر عن المعصية، وبالمناسبة فقد حُذِّر من صِنف من الناس يتمسك بقشور من الصبر ويغفل عن لبابه، ثم يظهر نفسه في الناس بمظهر أهل الإيمان والخشوع وقد تراه مثلاً غارقًا في الغيبة والنميمة والكذب، ومع ذلك ثم لا يستند إلى وسادة حرير لحظة واحدة؛ لأن استعمال الحرير حرام، وقد ذكر أن رجلاً كان مولعًا بالزنا ولكنه يلوم من يطيل إزاره عن منتصف الساق، ومن قبيل ذلك ما رُوِيَ من أن رجلاً اقترف الفاحشة في امرأة لكنه أمرها أن تغطي وجهها؛ لأن النظر إلى الأجنبية حرام، وسأل قوم من الأعراب الذين كانوا يقطعون الطريق عبد الله بن عمر عن دم البعوض والقمل طاهرٌ أم نجس؟ فقال: سبحان الله تقتلون النفس المؤمنة المحرمة وتتحرجون من دم البعوض والقمل.

إنَّ الإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل، وحلاوة الإيمان إذا أشربها القلب فهي ألذ حلاوة في الحياة، ومن أجلها فضل الإمام أحمد -رحمه الله- الضرب المميت على أن يتفوه بكلمة واحدة تخالف كتاب الله وسنة رسوله.

* * *

من أحاديث الآداب

الأعمال الصالحة والأعمال الخبيثة

إذا كان يوم القيامة اعتبر كل من في ساحتها موقوفًا كالذي يكون في توقيف المرور متهمًا بعصيان التعليمات أو يكون في توقيف الشرطة متهمًا بجريمة، ومثل هؤلاء لا يخرجون من التوقيف إلا بكفيل، ولا كفيل للعبد يخرجه إلى الحرية إلا عمله، أما النسب والجاه والمنصب والمال والبنون فتلك أمور لا يكون لها في الموقف وجود يقول ربنا ﷻ: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾ [المدثر: ٣٨].

والرهائن كما هو معلوم لا يطلق سراحهم إلا بمبرر، وكذلك أهل القيامة يوقفون ليسألوا، أي: ليحقق معهم وهناك لا تنفع الوسائط ولا تقبل الشفاعة إلا بإذن الله يأذن لمن ارتضى ﷻ.

هنالك يرى كل إنسان عمله على الشكل الذي يريده الله فمن الأعمال ما يكون على صورة مؤنسة كأنها ملائكة رحمة ومن الأعمال ما يأتي على صورة قبيحة كأنها أشباح شياطين نعم في القيامة تروج سوق الأعمال وتكسد سوق الأنساب ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ**﴾ [المؤمنون: ١٠١].

وكما يمكث بعض الموقوفين في توقيفهم خمسين ألف سنة فقد لا يوقف آخرون إلا طرفة عن يرون أنفسهم بعدها في جنة الله يستقبلهم رضوانه ليجدوها مفتحة الأبواب كما تفتح بابك للضيف الحبيب العزيز، تحييهم ملائكة الله عند أبوابها ﴿**سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**﴾ [الزمر: ٧٣]، ويرفع ملائكة آخرون من معنوياتهم فيشعرونهم بكرامتهم ويقولون لهم: ﴿**تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف: ٤٣]، وهل أعمالهم تساوي موضع سوط في الجنة أو شجرة من أشجار أو حورية من حورها الحسان الطاهرات؟ لا والله ما دخل الجنة عبد بعمله، لكن الملائكة تقول لأهل الجنة: ﴿**تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[الأعراف: ٤٣]، كما يقول الكريم لضيفه: «نحن لا نقدم لك إلا من بعض فضلك وحقك»، مع أن الضيف ربما لا يكون قد قدَّم لك شيئًا أبدًا.

أما وللأعمال يوم القيامة هذه المنزلة، فإني محدث الإخوة عن الآداب التي يتبعها أهل الصلاح والسلوك العالي حينما يقدرهم ربهم على عمل صالح وأحب أن أذكر أن بعض العاملين يأخذ الله حسنته فيجزيه بها سبعمائة حسنة، وقد يوفي ربنا بعض ذوي الحسنات أجرهم بغير حساب، وقد يجزي على الحسنة عشر حسنات، وقد لا يقبل الله حسنات بعض الناس إطلاقًا، ويأتي بعضهم يوم القيامة فيرون لهم أعمالاً من أعمال الخير عظيمة الحجم ثم لا يكادون يرونها حتى تتلاشى من أمامهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، فلا يقدرون مما كسبوا على شيء، أي: لا يستفيدون مما عملوا شيئًا.. أولئك الذين أشركوا مع الله في أعمالهم الصالحة فعملوها رئاء الناس وحبًّا في المديح والشهرة وابتغاء لعرض من عروض الدنيا.

وإذن؛ فإن للأعمال الصالحة أدبًا واحدًا عظيمًا إذا حرمت منه الأعمال انطفأ نورها، وجاء صاحبها يوم القيامة بلا نور، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

إنَّ أدب جميع الأعمال الصالحة هو أن تصدر عن إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له بحيث لا يدنس نية العامل، أي: شرك بالله أو خبيئة من الرياء، وبحيث يكون شعار صاحبها وهو يعملها: ﴿**إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۞ قُلْ أَغَيْرَ الله أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٤].

- جاء في الحديث المتفق عليه قصة الثلاثة الذي كانوا في سفر فآواهم المبيت إلى غار، فانحدرت عليهم صخرة من الجبل سدت عليهم باب الغار، فلم ينجيهم من مصيبتهم تلك إلا ثلاثة أعمال عملوها في حياتهم خالصة مخلصة لوجه الله الكريم، أولها: عظمة بر أحدهم بوالديه، والثاني: زهد الآخر في الكسب الحرام وإرجاعه الحق بعد وقت طويل إلى صاحبه، وثالثها: عزوف الثالث عن فاحشة الزنا بعد أن تهيأ له الأمر، وخلا له الجو يفعل ذلك مخافة من مقام ربه.

- وفي الصحيحين هذا الحديث الجليل: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى؛ فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**».

- وفي صحيح مسلم: «**إنَّ الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا صوركم، ولكن ينظر إلى أعمالكم**».

- وفي الصحيحين: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ**»، ومعنى الحديث الشريف من عمل الأعمال لينال بها سمعة أو عملها ليراه الناس ويمدحونه فإن الله سيفضحه ويفضح نواياه يوم القيامة ويكشف سرائره الخبيثة.

- وفي سنن ابن ماجه: «**يقول الله ﷻ: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري، فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك**»، وفي رواية: «**تركته وشركه**»، أي: تركت المشرك لينال ثوابه من الذي أشركه فيَّ.

- وفي صحيح مسلم ما خلاصته: إن أول من تسعر بهم النار ويقضى عليهم رجل استشهد، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرآ القرآن، ورجل كان لا يترك سبيلاً من سبل الخير إلا انفق فيها من ماله، هؤلاء يسحبون على وجوههم حتى يلقى بهم في النار، وذلك لأولهم قاتل واستبسل ليقال: جريء، والثاني تعلم وعلم ورتل القرآن ليقال: عالم، والثالث أنفق أمواله ليقال: هو جواد.

- وفي الصحيحين: «**مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**».

- وفي رواية: «**ومحاها اللهُ، ولا يهلك على الله إلا هالك**».

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۞ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۞ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۞ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۞ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۞ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۞ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۞ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۞ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۞ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ۞ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**﴾ [المدثر: ٣٨- ٤٨].

***